قبسات من التراث الشعبي

الجزء الرابع

قبسات من التراث الشعبي

في جبل العرب -٤-

حكايـات ـ شعـراء ـ قصائـد

حسن القيسي نصر

/قبسات من التراث الشعبي (الجزء الرابع)/

إعداد ودراسة: حسن القيسي نصر

سنة الطباعة: ٢٠٠٧

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.

الإخراج الفني: بشار الحلبي.

تصميم الغلاف: فيصل حفيان.

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي

دار ومؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ ـ تلفاكس: ٥٦٣٢٨٦٠

ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

المقدمــة

التراث مرآة الشعوب يعكس أفكارها وتاريخا ونشاطاتها الفنية والصناعية والزراعية وحتى العاطفية، التي يتجلى فيها الإبداع بالصور والشعر والنثر والغناء والموسيقا. والمجتمع الذي ليس له تراث ليس له تاريخ ولا مستقبل، فالتراث يمد الشعب بالقوة والإرادة والعزم، والعناصر الضرورية لصنع الحضارة والتاريخ والارتقاء في مدارج المجد والسؤدد بين شعوب الأرض والتجمعات الإنسانية.

إن تراثنا الشعبي في جبل العرب، هو مفخرة وإعجاب ومرآة للأجيال الصاعدة من سلف سابق إلى خلف لاحق فيه سجايا فاخرة ورجولة وكرم يجب أن تذكره قوافل الأجيال... وفي هذا الكتاب الرابع من سلسلة قبسات من التراث الشعبي في جبل العرب فصول متنوعة. تبدأ بروايات تاريخية وحكايات واقعية من قصائد تراثية وشعراء مبدعين يلي ذلك عرض بعض القصائد في أبواب متنوعة في الرثاء - والقهوة - والتبغيات - والتوجيهات الإجتماعية وباب هام بعنوان قصائد تغنى...

وقد راعيت التسلسل التاريخي للمواضيع والقصائد لتكون أكثر ارتباطاً بالمجتمع والحياة والفكر الذي انبعثت منه.

وقد حاولت تبسيط اللغة قدر الإمكان، وشرحت التعابير والمفردات الواردة في القصائد الشعبية لتسهيل قراءتها وفهمها، آملاً أن يسدي عملي هذا خدمة للمجتمع وجيل الأبناء أينما وجدوا.

حسن

السويداء ٢٠٠٠/١٢/٨

الفصل الأول

محطات تاريخية

ـ المحطة الأولى

أ. فتاة عرمان

ميثا الأطرش

((رواية واقعية من وحي التاريخ، جرت حوادثها في العقد الأخير من القرن الماضي ١٨٩٦/١٨٩٧م))

ـ عرمان قرية كبيرة رابضة على السفح الشرقي الجنوبي لجبل العرب، يستيقظ أهاليها في الصباح، على صياح الديوك، وثغاء المواشي، فينطلقون مبكرين نحو الحقول لأعمالهم الزراعية، رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، الكل يلهث مسرعاً باتجاه كرمه، يركب حماراً، يقود جملاً، يهرول ماشياً. تزدحم بهم الطرقات، كأنها أنهار، يسيل بها الناس متسارعين إلى حقول العمل خارج البلدة حتّى المساء، حيث ينعكس اتجاه السيل البشري نحو البلدة، لتستقبل جميع العاملين في الحقول، كأنها المصب لجميع الأقنية البشرية، التي تنقل إليها كافة الكادحين في المساء... وسط البلدة، تتزاحم بيوت السكن، حول الشوارع والأزقة، وعلى جوانب البرك المتعددة... "موردها عرمان وعجال البرك"[١].. حيث يتصاعد الدخان، من بعض المنازل، ويضج صوت النجر، بدقات متناغمة، عالية منخفضة "مهباجنا يصدح مع الضو بكير"[٢] معلناً استعداد المعازيب لاستقبال الزوار والضيوف...

كانت ميثا الأطرش[٣] في ريعان الشباب، عندما راحت تطالب بحق ولدها الصغير القاصر وعقاراته من أخويه الكبيرين "نسيب وجاد الله" فاضطرت للسفر إلى السويداء ودمشق سنة ١٨٩٦م، وطرقت أبواب عدد من المسؤولين لتحقيق مطالبها.

---

(١) أغنية مشهورة.

(٢) من قصيدة للعطواني ابن عرمان.

(٣) ميثا الأطرش: هي المقصودة بفتاة عرمان.

فهذه الفتاة ذات الطول الفارع والخصر الرفيع، والوجه الطافح الوضاء، كالبدر المنير ليلة اكتماله، تشع منه عينان نجلاوان، وكأنما قصدها الشاعر حين قال: "عيون المها بين الرصافة والجسر..." وما كادت تقع عليها عين ممدوح باشا، "الحاكم العسكري للمنطقة الجنوبية" في مكتبه، حتّى فتن بها، وراح يلاطفها، ويقدم لها القهوة بنفسه، ويعدها بتحقيق كافة مطالبها وحقوقها مهما كلفه الأمر، وأصر على دعوتها، لتناول طعام الغداء على مائدته، متكفلاً بأن تنال كلَّ ما تطلب، دون أن تذهب لمكان من دوائر الدولة، وحتى دون أن تغادر دمشق إلى الجبل، كيف لا؟ وهو القائد والحاكم المطلق في البلد، وليس فيها من يكون عصياً عليه..؟؟

ـ الغيداء ميثا التي شعرت بهوسه وهيامه من اللحظة الأولى، فهمت قصده واعتذرت بلطف ولباقة، جعلته يخجل من نفسه، عندما استرسلت تشرح له عادات وتقاليد العشيرة المعروفية، عند اتصالات أبنائها وبناتها مع بعضهم، ومع الآخرين، ضمن حدود لا يمكن تجاوزها أو تخطيها، وقد عرف القائد قصدها، بأن طلب الزواج لا يمكن أن يكون إلا عن طريق الأهل. وهكذا خرجت الفتاة من عنده، وهي مسرورة بنجاحها للتخلص من هذا الموقف الحرج، بعد أن تركت القائد الولهان، يضرب أخماساً بأسداس، وهوجاساً بهوجاس، وكأنه بمعركة ضارية ينهار عليه المتراس، وقد درجت الغيداء من باب المكتب تسير على مهل، بخطوات متثاقلة دون أن تلتفت، وأنظار المتيم الولهان تلاحق كل حركة من حركات جسمها، حتّى وصلت إلى عربة في الطريق، تجرها الخيول، فامتطتها بهدوء لتنطلق فيها مسرعة حتّى غابت عن الأنظار....

جلس القائد الكبير بعد ذلك على مكتبه يفكر، بل يغوص في أعماق الفكر، يفتش عن الوسيلة الأسرع والأقرب للوصول إلى مبتغاه، وكان الصراع بين العقل والهوى... فتارةً يرى الأمر سهلاً، خاصة وأنه الوالي وقائد الجيوش الذي تخضع له البلاد والعباد ولا يصعب عليه الوصال والاتصال حتّى يصل إلى مبتغاه طالما هو في قمة الهرم.

وتارة أخرى يرى الأمر صعباً، خاصة عندما يتصور الغيداء قمة مبتغاه وهي تردد على مسمعه كلاماً لم يدرك معانيه مباشرة ـ العشيرة، التقاليد، طريقة الاتصال، فيثور ويزبد مردداً بينه وبين نفسه قائلاً: ألمثلي يقال هذا؟؟ وأنا القائد، القمة، وكل ما في هذه البلاد تحت تصرفي وفي قبضة يدي؟؟. مستحيل أن يقف في وجهي حاجز أو يُردَّ لي طلب؟؟...

هكذا بدا القائد الكبير يتكلم مع نفسه، ويقلب الأفكار والآراء علّه يجد معبراً سهلاً للوصول إلى أهدافه... لكن كيف سيصل إليها؟ وما هي المسالك والخطوات؟؟... وهنا راح يعاتب نفسه ويتساءل: كيف أُفلِتت الغادة الحسناء من يديه؟؟.. بعد أن كانت أمام عينيه في مكتبه تحت تصرفه، وهو القادر على كل شيء؟؟... لماذا لم يحجزها عنده ويرسل من ينفذ طلباتها كاملة وهي جالسة بحضرته؟؟... وربما كانت لم تفلت من قبضته الحديدية، كيف حصل هذا؟؟.. وقد تخلصت منه ببراعة فائقة؟؟.. كيف خدعته بلباقة، وانسحبت من المأزق متخفية تحت ستار التقاليد والعادات وأعراف العشيرة؟؟... مع أنه هو القائد الجبار الذكي، صاحب الجبروت والسلطان. لقد كانت حقاً أكثر ذكاءً وفطنةً، وحتى بدون جبروت أو سلطان.

لقد زادت قيمتها المعنوية في نظره، وراح يتخيلها إلى جانبه ـ جمال فتان، حديث عذب لطيف، ذكاء خارق، بالأكيد لا مثيل لها بين بنات الترك والعرب وحتى العالم، إنها فتاة الأحلام، إنها الغاية فوق كل غاية، إنها الحياة كلَّ الحياة "مراهقة الكبار أقوى وأشد اندفاعاً من مراهقة الشباب" ثمّ راح يخاطب نفسه قائلاً: ما زلنا في بداية الطريق، وهذه هي المقابلة الأولى، ربما الثانية أفضل، أمامنا متسع من الزمان والمكان، وأنا في هذا المقام الرفيع، قمة الهرم الاجتماعي في هذه البلاد، من المستحيل أن يرفض طلبي، أو تزورَّ عني فتاة، مهما كانت عزوتها وعشيرتها، ثمّ راح يتفقد شكله ومظهره ـ " جسمي صحيح ومعتدل، بذلتي لا غبار ولا بقع عليها، مكتبي ينقصه بعض الترتيب ،. ويصرخ على الحاجب بدون انتباه...

ـ عسكري ادخل، رتب الطاولة، نعم الطاولة!! رتب الكراسي أمامي، أيضاً أيضاً الطاولة من جديد ينظر لنفسه بالمرآة، كل هذا وهو يتخيل أنها ستعود إليه!!! وكأن وقع خطواتها على الدرج، وكان يخرج، يتلفت، ثمّ يعود مسرعاً للدخول،

وهكذا يبدو كمن أصابه مس أو هذيان... أخيراً أغلق أبواب المكتب، وجلس فيه وحيداً يدخن، ويفكر، ويعصر دماغه مفتشاً عن أقصر الطرق للوصول إلى مبتغاه، بينما كان الحاجب في الخارج مستنفراً ينتظر، وهو يقول بينه وبين نفسه: يا رب!! نجنا من تغلب العاطفة على العقل والهوى على الفكر... حقاً إن أصعب حالات الإنسان، عندما يكون في صراع بين هواه وعقله، فإذا اتبع هواه يكابد لذة يعقبها ألم، وإذا اتبع عقله، يقاسي ألماً يفقد معه الحياء.. آه!! يا رب حقق الهدوء والطمأنينة لهذا القائد ولنا، واجعل هذه العاصفة تمر بسلام.

ـ على الجانب الآخر وصلت ميثا إلى عرمان، وكانت مترددة بشرح موقف القائد ممدوح لوالدها، لولا أنها كانت مقتنعة بأن القضية لم تنته أبداً على باب القائد، إنما سيكون لها ذيول وامتدادات فأخبرت والدها حسين الأطرش بكل ما جرى في المكتب، وكيف حاول القائد المغرور أن يقنعها بالبقاء في دمشق، حتّى يحصّل لها جميع الحقوق التي تريدها مع الزيادة وكيف تخلصت من هذا الموقف الحرج، وانسحبت من المكتب، ثمّ أضافت تقول لوالدها: إنني بصراحة أكره هؤلاء الأتراك، خاصة القادة منهم الذين يعيثون في بلادنا فساداً، ويسومون مواطنينا أسوأ أنواع العذاب والظلم!!

وإنني أفضل الموت الزؤام على أن أعيش مع أحدهم تحت سقف واحد، وأنني منذ الآن تنازلت عن جميع الحقوق التي أطالب فيها، حتّى لا أرى واحداً منهم مرة ثانية.

وهنا دهش الوالد لحصافة ابنته وبعد نظرها وارتاح لما ابدته من صراحة وجرأة وشجاعة فأجابها بصوت هادئ رزين: اطمئني، وعسى أن لا نصل لمواقف حرجة أخرى مع هؤلاء القادة الأوغاد...

المشاورات

قرر القائد بعد ذلك أن يبدأ المشاورات مع الزعماء المتنفذين في الجبل واستدعى:

أولاً: بعض الزعماء من عرمان فقالوا له: تقاليد العشيرة والعادات لا تسمح، كما أن الفتاة نفسها، ترفض هذا الزواج وترى فيه إهانة ومذلة.

ثانياً: شيخ صلخد: فأجابه هذا الموضوع صعب المنال والأفضل أن تصرف النظر عنه.

ثالثاً: شيخ السويداء: الأفضل أن لا تتحدث بهذا الموضوع....

هنا: جن جنون القائد وطارت ضبانات عقله: الكل يطرق على نفس السندان ونفس الوتيرة، وكأن هناك اتفاق مسبق بين الجميع... لكن!! أنا الوالي ممدوح باشا أنا قائد الجيوش وحاكم البلد، ممثل الباب العالي، ممثل السلطان هنا من هم هؤلاء؟؟ ما هذه العشيرة التي ترفض طلبي؟؟ وأنا صاحب السلطان والجاه الكبير دولياً وعالمياً، هل هذا معقول؟؟ آه لم يبق أمامي إلا استخدام القوة، قوة الجند - لكن لا بد من سبب معقول لتدخل الجنود، السبب، نعم... وجدتها، ... أمامي شكوى من الرعاة في عرمان، لقد ضربهم النواطير "حراس المزروعات" هناك شكوى للرعاة البدو، على نواطير عرمان... وهذا السبب الأفضل لتدخل الجنود لتكسير الرؤوس العنيدة في الجبل.

- أوعز القائد لعامله بالسويداء لإرسال سرية من الجنود مع ضابطين، لاعتقال نواطير عرمان، وكل من يعارض أو يعترض، حتى ولو كان وجيهاً متنفذاً إلى جانب السلطة.. مع استمرار الاتصال واطلاعه على سير العملية ساعة بساعة.

الجنود في عرمان

نزل الجنود والضباط الأتراك، ضيوفاً بمضافات عرمان، كما هي العادة في تلك القرية، وحتى في هذا الريف المضياف، وأقيمت أهم الولائم - ذبائح ومناسف - عادة سائدة في الكرم بدون حدود...

الشمس حادة تلفح الوجوه عند الظهيرة، عندما شمَّر محمود [1] عن زنوده وغرس طرفي كوفيته[2] البيضاء على جانبي رأسه، في لفَّات عقاله المرعز[3] الأسود، وتحرك بقوة ونشاط، يجلب الطعام لضيوفه الجنود، وقد فوجئ بطريقه بالضابط يسوق بعض النواطير إلى مقر الاعتقال، فدعاه قائلاً: تفضل للغداء لاحق تأخذ زلم، لكن الضابط أجابه بحدة وامتهان قائلاً: إنني آخذ زلم وسآخذ رأسك أيضاً!!..

---

(١) محمود: هو محمود أبو خير، من وجهاء وفرسان عرمان.

(٢) الكوفية: غطاء الرأس الأبيض للرجال.

(٣) شعر أسود جيد لصنع العقل.

فغضب محمود من هذا الرد المثير، وامتشق حسامه وهجم على الضابط المتحدي... لكن الجنود عاجلوه بإطلاق النار فأردوه قتيلاً..!! عندها ثار أهالي القرية يريدون الانتقام من العسكر الذين التجأوا إلى مضافة إبراهيم الجرمقاني، واجتمعوا فيها خوفاً من انتقام الفلاحين، اللذين حاصروا المضافة، طيلة يوم كامل، كان الجنود يطلقون النار على كل من يقترب منهم حتى المعزب صاحب المضافة فقتلوا ثلاثة شهداء على باب المضافة الذي لا يزال قائماً حتى الآن يتردد من أعماقه صدى أزيز الرصاص، وأصوات انفجار البارود، وعلى واجهته آثار رشقات خردق طبنجات الفلاحين بادية للعيان...!!!.

ـ كان الجنود يطلقون النار على كل من يمر في مجال نظرهم، رجل أو طفل أو امرأة بدون تمييز، وهم يستترون خلف الجدران الحجرية، ولم يجد الأهالي وسيلة للخلاص من تيار القتل هذا، إلا بثقب السطح من الأعلى وهدمه على من تحته، فاستسلم من استسلم، وقُتل من قُتل من الجنود معهم الضابط عبدو أفندي الذي قال فيه شبلي الأطرش: "عبدو أفندي تحت الردم من غير دفان".

قامت النخوات والعراضات بعد انتهاء المعركة واستسلام الجنود وزغردت ميثا ابتهاجاً بالنصر وهتفت تحيي الشهداء من الأهالي وكل من تميز من الشباب بدحر الأتراك ورد كيدهم إلى نحورهم وقد تمكن جندي خيال من الهرب مسرعاً، ليخبر ممدوح باشا بما حل في جنوده بعرمان...

ـ غضب ممدوح باشا غضباً شديداً عندما عرف ما حل بجنوده في عرمان وأرغى وأزبد وهدد وتوعد، وأخيراً جهَّز جيشاً كبيراً مزوداً بأحدث الأسلحة من بنادق ومدافع، وتوجه في مطلع تشرين الثاني سنة ١٨٩٦م لتدمير عرمان، وقتل أهاليها، واختار دليلاً لجيشه من أبناء المنطقة السيد سليم الجاري، الذي تزود بأمر إدخال الجيش إلى عرمان ليلاً، لقتل السكان رجالاً ونساءً وأطفالاً، قبل بزوغ الفجر...

ـ كان السيد سليم الجاري من المتنفذين في مجتمع العشيرة في الجبل وعند السلطة. وقد استشاره القائد ممدوح بخطبة ميثا عندما كان الأمر في البداية، وقد شعر برغبة القائد ممدوح الجامحة وعناده فلم يثنِهِ عن عزمه، حتى بعد أن صرح له

القائد باحتمال استخدام القوة إذا لم يصل إلى مبتغاه بالدبلوماسية، لذلك اجتمع سراً بوالد ميثا، وأشعره بإصرار ممدوح وعزمه على استخدام قوة الجند لتحقيق حلمه الذهبي بالزواج من الفتاة التي فتنت لبَّه وسلبت عقله. وعندما اختاره القائد دليلاً للحملة، كان حائراً بين تنفيذ أوامر السلطة، وإبادة أهالي عرمان، طليعة عشيرته، وبين تفشيل الحملة وعدم إتاحة الفرصة لها، للنيل من العشيرة بهذه الطريقة الجائرة. وكان يتهادى أمام الحملة غارقاً بالتفكير والتوجس، حائراً بين أوامر السلطة ومصلحة العشيرة والوطن، حتى قرر أخيراً أن يكون إلى جانب الأهل والوطن.

فتاة بالجيش طوال الليل بين الخرائب المهدمة في منطقة "عيون" على بعد ساعة من مشارف عرمان، وما بزغ الفجر، حتى وصلت النجدات من صلخد ومتان وملح وقيصما وكافة القرى المجاورة، فأحدق الثوار بالقوات التركية من كل جانب، وانقضوا على الحملة برصاصهم وسيوفهم وخناجرهم، تنخيهم النساء في طليعتهم ميثا الأطرش وسعدى ملاعب، يقدمون الطعام والماء، ويزغردون مشجعين الثوار الذين زاد حماسهم حتى بلغ الذروة، فهجموا على الحملة بالسيوف والعصي والفؤوس والخناجر، وصرخاتهم المرعبة، التي راحت تدوِّي في سماء المعركة كأصوات الجن، فتراجع الجيش أمام شدة الهجوم باتجاه الغرب، الذي بقي مفتوحاً لهروب العساكر، وراح الثوار يتسابقون على جندلة الجنود بمختلف الوسائل، فتحول تراجع الجيش إلى هزيمة نكراء، ووهنت عزائم الجند من التعب والخوف، وأصبح همُّ كل جندي النجاة بنفسه !! وعندما التقت فلول الجند الهاربة غرباً بفرقة ثانية كان قد أرسلها ممدوح باشا لتعزز قواته، بقيادة محمد الجيرودي الذي هرب مع فرقته، ممتطياً فرسهُ الصفراء، قبل الوصول إلى ساحة المعركة فراح الثوار ينشدون:

صفرة جيرودي غربت قوطر يحث ركابها

يا محمد خبِّر دولتك حنا خذينا طوابها

كانت خسائر الحملة أكثر من الفي جندي قُتلوا بالسيوف والفؤوس والبلطات والعصي ورصاص البليك وأم زر التي غنمها الثوار من الجنود، مع مدفعين وجميع

الأسلحة والذخيرة التي كانت مع الجيش وقد سقط من الثوار في هذه المعركة حوالي ٢٠٠ شهيد، عرفنا أسماء بعضهم وهم (عقاب البربور - محمود غزالة - منصور الشوفي - جبر الحجلة - محمد الزغير - حسن أبو خير - يوسف ياغي - عباس المتني - سليمان طربيه - حمد الكريدي - "أبو سيف جرار" وأخيه) بالرغم من كثرة الشهداء والجرحى من الأهالي في هذه المعركة، عاد الثوار إلى عرمان وصلخد يهزجون ويزغردون ويهتفون للشهداء، يعقدون حلقات الدبكة رجالاً ونساءً، فرحين بدحر الظلم وانتصارهم لكرامتهم ووطنهم. مرددين:

كرمالـــك ميثـــا الأطـــرش   شـــــرب الـــــدم منـــــتعطشْ

بالبـــــــاليكي وأم الـــــــزر   رَشِّـــــــينا العـــــــساكر رَشْ

* * * * * *

كرمالـــك ســـعدى ملاعـــب   نفـــــني كـــــل الكتايـــــب

مـــا بيرجـــع لقرابـــوا الـــسيف   حتـــــى يـــــسوِّي العجايـــــب

تابع الثوار في الأيام التالية زحفهم باتجاه مدينة السويداء وحاصروا قلعتها مدة ٢٨ يوماً، مستخدمين بواريد الباليك وأم الزر التي غنموها في معاركهم مع الجند، فاضطرت تركيا لتجريد حملة كبيرة سنة ١٨٩٧ م نحو ٥٤ كتيبة بقيادة طاهر باشا لمساعدة القائد ممدوح، حققت بعض النصر في البداية، وفكت حصار القلعة، وتقدمت باتجاه قنوات، وهنا باغتها الفلاحون بما عرف بكبسة قنوات سنة ١٨٩٧ م، فأبادوا معظم جنودها وغنموا ٥٠٠ حصان بيوم واحد. كذلك انتصر الثوار بعدة معارك في اللجاه قلعة الثوار الحصينة، وفي معركة شهبا التي دامت ست ساعات، واستشهد فيها: فرحان عامر - يوسف أبو عساف - سعيد نصر - هاني وعبد السلام الحناوي. وغيرهم واستمر الثوار ينشدون: كرمالك سعدى ملاعب... كرمالك ميثا الأطرش...

وقد أرسل السيد عبد الله كمال هذه القصيدة إلى شبلي الأطرش في منفاه في أزمير يصف فيها بعض ما جرى:

أبـديت باسمـك يـا عظـيم الأسـامي　　يـا باسـط الخرسـا بـسهل وسـهامي

رافـــع ســـبع فلاكهـــا بالتمـــامي　　تـسمع دعـا المظلـوم وأهـل الكرامـي

مــن عقـبكم يـا بيـك صـرنا ذلـيلين　　مــن حكــم هــاللي بلغــاهم مهيــنين

لا مـا غـدوا قلـوب النـشاما ملانـين[1]　　وعــدنا اســتحينا بلبــسنا للعمــامي

نخبركم عن عرمان واللي جرى بيه　　تقـــدم درك عبـــدو أفنـــدي نداويـــه

يـــوم إن طغـــى كـــان ربـــك يجازيـــه　　هـوي وربعـو شـرب كـأس الحمـاي

نهـار الخـراب تـشيب أطفـال المراضـيع　　وســعدى[2] تنخــي بالعيــال المفــاريع

مثـل الحطـب منَّـا ومـنهم مـضاجيع　　مرحــوم هــاللي مــسكنه بالرجــامي

حــين الظهــر ربــك فرجهــا علينــا　　مثــل ليــوث الغــاب واحنــا غــدينا

هــني قفــوا واحنــا وراهــم حــدينا　　مثـل الجـرس تـسمع رنـين الحـسامي

هـم جردوهـا مـن حجايـا وسـلانيك　　بتـل الحديـد صـارت علينـا المعـارك

عيــال الــسويداء لزموهــا المــداريك　　بــالعون أعطوهــا حقهــا بالتمــامي

ووجـــوه ربعـــك يلكـــدوا عـــالطوابي　　يتقـــاطعوهم كـــالغنم والـــذيابي

يــا بيــك لــو تــشوف صــفر النيــابي　　ورزم المـــدافع مثـــل يـــوم القيـــامي

---

(١) مملوءة غيظاً.

(٢) سعدى: سعدى ملاعب كانت تشجع الثوار.

بتنــــا وتلينــــا علـــيهم كـــسيرة   بهوجـاس بـاتو وأصـبحوا لـك بحـيرة

وتـــشاوروا الـــضباط ويـــا للمـــشيرة   دعنـــا نفـــوز بروحنـــا بالـــسلامي

ثـــاني ســـعدنا يـــوم كبـــسة قنـــوات   يـا مـا ذبحنـا مـن العـساكر باشـوات

ويـا مـا خـذينا مـن الـسلايل نجيبـات   بحـساب كامـل خمـس مايـة لجـامي

❖ ❖ ❖ ❖ ❖   ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

وقد أجاب شبلي الأطرش من منفاه في أزمير يصف ويتلهف ويفخر بقومه فقال: قصيدة حرب عرمان:

قصيدة حرب عرمان

قلـــبي علـــى فقـــد المحـــبين ولهـــان   وأحـــر قلـــبي مـــن العلـــوم التـــوالي

وهمـي سمـك مـن يـوم فرقـاي حـوران   وعـــيني بـــديران الرفاقـــة الخـــوالي

دمعـي دفـق مـن مقلـة العـين غـدران   يـــا ويـــل مـــن جـارت عليـــه الليـــالي

علمـي بهـم يـوم أنـا كنـت طريـان   يـــا حيـــف أيـــام الهنـــا والـــدلالي

علمـي بهـم مـن نمـرة الحـيص لمتـان   لدامـــة العليـــا بـــركن الـــشمالي

مـــن بـــرد لـــذيبين لـــشبيح[1] ســـكان   حتـــى ريـــاض بلادنـــا والمفـــالي

وأنـا أتحـرى العلـم والقلـب حزنـان   أرجـو الفـرج مـن رب خـلاق عـالي

---

(١) برد وذيبين. شبيح: أسماء قرى ومزارع في الجبل.

جانا خبر من يم صلخد وعرمان   نعمين يا وجوه الذياب المتالي
عبدو أفندي[1] شارب الخمر سكران   جاهم يهادر مثل فحل الجمال[2]
يطلب من سباع البر بناً ودخان   ويريدهم مثل الغجر للموالي[3]
جوه النشاما وبعد لليوم ما بان   هدوا عليه قصور شمخ عوالي
وللحين تحت الردم من غير دفان   مع مشرف آغا[4] لجهنم يوالي
من عقبها صارت معاريك وكوان   تشيب الولد الرضيع الموالي
ووتضعضعت حوران من كل الأركان   عافت لحاها والدبش والحلالِ
وتوالموا للهوش طليقين الإيمان   وتعاون الصبيان من كل جالي
صاحوا عليهم وانطرب كل سكران   واقفوا مثل غيم حداه الشمالي
الفين من حمر الطرابيش سقمان   بعيون ذبحوا من القروم العيال
ضبع الكويرس عازمو ضبع حبران   وصار اللحم بعيون مثل التلالِ
جرد عيالك والثعالب وويوان   وافلح هداك الله عمَّا يوالي
من فعل ربع ينطحوا الضد بطعان   صلفين يوم الهوش يوم القتال

---

(١) عبدو أفندي: قائد تركي.

(٢) فحل الجمال: الذكر القوي.

(٣) الموالي: دورية الشرطة.

(٤) مشرف آغا: من الضباط الأتراك.

بـــبلاد ســـوريا لا شـــك فرســـــان   مـــن غيرهـــم إيـــاك تحـــسب رجـــال

الله يعـــز بلادنــــا بجـــاه ســـلمان   ويفكنـــا مـــن أشـــرار شـــقا وســـالي

وقد ورد في كتاب محافظة السويداء (ص ٤٤) ما يلي:

مع كل هذه المعارك لم يستطع ممدوح باشا أن يخضع الثائرين تماماً، فمال إلى مصالحتهم وبعد أن عقد الثائرون عدة اجتماعات، في عرمان وقنوات والسويداء ونجران وشهبا، طلبوا الدولة بتحقيق المطالب التالية:

١ـ إعادة جميع المنفيين إلى الجبل.

٢ـ إخراج المساجين من دمشق.

٣ـ تقليل عدد الجنود الأتراك في الجبل.

٤ـ تخفيف الضرائب.

٥ـ رفع التجنيد الإجباري عن شباب بني معروف.

٦ـ عدم إلقاء السلاح قبل تنفيذ هذه المطالب.

وفي عام ١٩٠٠ ميلادية، أخذ السلطان عبد الحميد يشعر بوطأة المقاومة السرية المتصاعدة فاضطر بعد الوساطة لكسب ود القوى المتنوعة في سوريا ومنها زعماء الجبل، فأمر بإطلاق سراح المنفيين، وسمح لشبلي الأطرش وعدد من الزعماء المنفيين معه، بمقابلة السلطان عبد الحميد، الذي أكرمهم وقدَّمَ لهم الهدايا، وأنعم على شبلي الأطرش بعباءة موشاة بخيوط الذهب بقي زعماء الأطارشة في عرى يتناقلونها مدة طويلة:

لقد أدت عملية الصلح مع الدولة العثمانية بعد إطلاق سراح المسجونين والمنفيين إلى حلول وسطية، في طليعتها قبول التنظيم الإداري لسنة ١٩٠٠ ميلادية الذي قسم الجبل إلى ثلاث قائمقاميات مرتبطة بمتصرفية حوران، وعفا شباب الجبل من الخدمة العسكرية لمدة عشرين عاماً، وكانت زيارة الوالي حسين باشا للسويداء

حيث ثبَّت الشيخ الهجري بمنصبه، كشيخ روحي للجبل، ووزع الهدايا والهبات، مما حسَّن العلاقات مع الدولة.

واستقرت الأحوال في الجبل نسبياً، بعد أن زار صلخد وعرمان وتصالح مع والد ميثا الأطرش وأهالي المنطقة وشجعهم على مواقف الشرف والكرامة، ومدح أهالي الجبل بخطابه قائلاً لهم: (أنتم الدروز سيف الإسلام) وهكذا قويت شوكة أبناء الجبل في هذه المرحلة، ولم يتمكن الأتراك من أن يحركوا ساكناً عندما التجأ سلطان بن الرشيد أمير نجد إلى الجبل هرباً من ظلمهم.

ملخص هذه الحكايا الواردة بكتابي قبسات رقم /٢/ كما يلي:

في سنة ١٩٠٤ ميلادية، استجار سلطان بن الرشيد أحد أمراء حايل في السعودية بدار الشيخ وأكد زهر الدين شيخ قرية الصورة في جبل العرب، هرباً من بطش الوالي العثماني بدمشق الذي أرسل مجموعة من العساكر مؤلفة من فرقتين سواري "خيالة" لإلقاء القبض على الأمير سلطان بن الرشيد ونقله إلى دمشق حياً أو ميتاً... رفض الشيخ وأكد تسليمه واستعان بفرسان بني معروف من مختلف القرى المجاورة لإنقاذ ضيفه ابن الرشيد، فطردوا العسكر وأنقذوا الضيف الذي انتقل إلى قرية متان جنوب شرق الجبل، وأقام ضيفاً معززاً مكرماً عند أهالي متان والأمير مصطفى الأطرش لمدة ثلاثة أشهر، عاد بعدها إلى حائل وقصر برزان في السعودية سالماً غانماً، حيث أرسل القصيدة إلى أهالي الجبل يشكرهم ويشيد بكرمهم وشجاعتهم، وقد أسماها:

سيوف الجبل

قـم يـا علـي وَلِّـم سـلايل وضـيحان ريـدٍ مـن الـذروات عجـل جفيلـة[1]

الياســوهجن ريــلٍ بليــات دخــان خطّــات ريــمٍ شــاف بالــدّو زيلــه[2]

دَنـيِّ الرِكـاب ومـدمِنْ قـصر بـرزان يمُّــوم ضــلع عــالنوايف طويلــة[3]

ضـلع تـشامخ مـع مـشاريق حـوران هــو منــوة المــضيوم عــزٍّ نزيلــة[4]

عـمّ الـسلام وخـص لـي صـربة متـان وأبــو علــي حمّــال درك الدبيلــة[5]

وسـيوف واكـد مـن بيـارق وفرسـان نعمــين ربــع معــذبين دخيلــة[6]

أنـا أشـهد أن ساسـكم سـاس قحطـان وأنـا أشـهد أنكـم مـن ذواد القبيلـة[7]

مـاللوازم بعـدكم كـاينٍ ــ كـان ولا للكرامــة كــل صــرح ظليلــة[8]

يـوم أن علينـا حوضبت الأربـع أركـان واتقطعـت وذم العـرى مـن مـشيله[9]

---

(١) ولم: هيِّئ.. وضيحان: الحصان أو الذلول الأبيض،. ريد: لون الرمادي.. عجل: سريع.. جفيلة: تتخوف.

(٢) سوهجن: مشوا باتزان.. الريل: القطارات، ريل وأي سكة القطار بالإنكليزية.. الدّو: القفز.. زيله: زواله.

(٣) دنيِّ: هيئ.. قصر برزان: قصر حايل.. يموم: يم نحوه.. الضلع: الطرف البارز أي الجبل.

(٤) المضيوم: المظلوم المتألم..

(٥) أبو علي: الأمير مصطفى.. درك الدبيلة: أشد المصاعب.

(٦) معذبين: منقذين.

(٧) ذواد القبيلة: وجوه العشيرة.

(٨) اللوازم: الضرورات.

(٩) حوضبت: انسدت، طربقت.. وذم العرى: أربطتها.

جُونَـا سـرايا الكيـد مـن آل عثمـان   وبعيـونهم تقـرا الغـدر والدَّغِيلـة[1]

حاطوا بنا ما يُحوط خَمسَك بفنجان   وبـات الفـرج عسراً علـى كـل حيلـة

نحـرت عـاني لابـةٍ مـن هـل الـشان   بـيض العمـايم كاسـبين النفيلـه[2]

عـاداتهم حمـي المغـاتير وضـعـان   يـا لـين قبَّـت كـل قبَّـة شـليله[3]

نطَّاحـة الكايـد علـى كـل ميحـان   حمل الترك مـا مـن سواهم يشيله[4]

تطـابقوا عنـدي علـى المـوت عقبـان   ولا هـم بهـاجس مـن كثير وقليلـه[5]

يـا زِيـنهُم يـوم إن تنـاخوا المـردان   وبيـدينهم تلمـع رهـاف النَّـصِيله[6]

لمـا لفـوا والجـو عجـاً ودخـان   يـا شـوفهم يـبري الكبـود العليلـه

راحـت علـى حمـر الطـرابيش شَـردانِ   واقفـوا يجـرون الخَـزي والفـشيله[7]

فَرّجـتُ كربـاً مـالي الـصدر بـأحزان   عـدِّي غـديت بـرأس رعلَـه طويلـه[8]

لا القُـوُ فَـادَ ولا نفـع بعـد رَنَّـان   يـا وسـع جـودك يـا منـشي المخيلـه[9]

---

(١) الدغيلة: الخيانة.

(٢) عاني: قاصد.. النفيلة: الشرف.

(٣) المغاتير: المواشي.. الضعن: الركب.

(٤) الكايد: الظالم.. الميحان: الضعيف.

(٥) الهاجس: الخوف.

(٦) المردان: الشباب بدون شعر بوجوههم.. رهاف النصيله: السيوف.

(٧) شردان: مشردون.

(٨) رعله: مرتفع بارز.

(٩) رنَّان: إشارة إلى ألفي ليرة ذهبية قدمها القائد التركي إلى واكد زهر الدين لاستلام سلطان بن رشيد.

هـم حقلـتي نقالـة الـسيف وسـنان   والميربـــيهم بالـــسنين المحيلـــه[1]

تـسعين ليلــه بــين مقعــد وفنجــان   دسـم القـرى يقلـط علـى كـل ليلـه[2]

يـنطح ثـرى الجـوزاء خـشم أم حـوران   ولا قلـــت إلاّ للتجـــارب حـــصيله[3]

غنـوا بهـا يـا اللـي مـع الـدَّوْ ركبـان   مــا قــال أخــو نــوره كــلام هبيلــه

---

(١) حقلتي: أملي.

(٢) يقلط: يتقدم.

(٣) خشم أم حوران: كناية عن الجبل.

ـ المحطة الثانية

ب. فتاة اللجاة

أو بستان شلغين

بستان

هذه الكلمة تبشر بالخير وبالجمال بالثمار وبالأزهار بانشراح النفس وكان ذلك الاسم الذي أعطاه ابن قرية صميد لابنته تيمناً بخيرات البستان الإنسانية والوطنية في مجتمع اللجاه والجبل والعشائر والشرف والكرامة. ترعرعت الفتاة وكبرت في تلك القرية المجاهدة على تخوم اللجاه الشرقية " قلعة اللّه الحصينة كما سماها الفرنسيون حيث تكسرت على صخورها حملاتهم الجرارة وحملات الجيوش التركية العاتية من قبلهم. أكثر مكان البلد من آل شلغين اشتهروا بالكرم والشجاعة والجهاد المستمر في سبيل الوطن وقد قال فيهم شاعر الثورة السورية البدوي صبيح السرَّاج:

شلاغني واليا اعتلون الخيل فرسان   في بيوتهم ومعذبين المحاميس

تزوجت بستان من قريبها هايل شلغين، انجبت ولدين هما حمد وهايل الذي تسمى باسم أبيه بعد استشهاده في الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥ ميلادية. وقد أسهمت السيدة بستان في أحداث تلك الثورة خاصة بعد انتقال ثوارها وأحداثها إلى منطقة اللجاه وكانت مساهمتها فعالة في تموين الثوار وتشجيعهم ومعالجة جروحهم وإيوائهم وحتى في حمل السلاح وخوض بعض المعارك في ربوع المنطقة خاصة سنة ١٩٢٦، ١٩٢٧ في فترة ركود الثورة في كل الوطن العربي بعامة وفي بلاد الشام بصورة خاصة. فاتخذت الثورة من منطقة اللجاه مركزاً أساسياً لها وكانت قرية

صميد قرية بستان شلغين تمثل معبراً ومنفذاً للثورة والثوار في كل الاتصالات والعمليات التي تقتضيها الثورة في المواجهة والاختفاء وطلب تخزين الإمدادات والذخيرة.. وقد أسهمت السيدة بستان شلغين بفعالية في تلك الاتصالات والعمليات وأخذت على عاتقها الكثير من الخدمات في نقل الأسلحة والذخيرة للثوار وكانت قرية صميد تتعرض لغارات فرنسية وحشية ومدمرة من الأرض ومن الجو. وقد أسقط الثوار عدة طائرات تحطمت على صخور وبيادر القرية وما زالت أشلاؤها المحطمة في أزقة صميد يتلهى ويلعب بها أولاد القرية الذين يرون فيها شاهداً على بطولة أهلهم وصمود قريتهم في وجه الحملات والغارات الاستعمارية المعادية. وقد حدثني المجاهد المرحوم أبو سعيد محمد رافع نصر وهو يكشف أمامي عن الجروح والإصابات المتعددة في جسمه من شظايا قنبلة طائرة سقطت عليه وهو مع العصابات في صميد فقال: كنت جالساً على حجر أمام باب دار السيد فريد قيدبيه من قرية صميد أحاول تسديد رصاص بندقيتي على إحدى الطائرات الفرنسية التي تحوم فوقنا وتلقي علينا القنابل، وفجأة شعرت أنني أطير في الهواء من باب الدار إلى بهو الدار في الداخل على بعد أكثر من ثلاثين متراً، حيث سقط قزان كبير (قنبلة) فشلعني الضغط من مكاني حتى صدر البهو.

وكانت الشظايا المتناثرة منه قد أصابت أماكن متعددة في جسمي "وأخذ يشير إليها" فكسرت هنا رجلي واخترقت هنا بطني لتنفذ من ظهري بالإضافة إلى أذرعي وكتفي وقد غبت عن الوعي لفترة صحوت بعدها على الناس حولي يعالجون جرحي بالدبس المغلي أو بشيش يسخن على النار حتى يحمر جيداً ويدخل في الجرح من مكان اختراقه إلى منفذه خارج الجسم. وأخذت كماشة بعد أن صحوت جيداً رحت أشلع فيها "الشظايا" من لحمي لكن الألم يكون شديداً وقاسياً عندما أشلع شظية من العظم خاصة التي كانت هنا في كاحل رجلي " وأشار إلى مكان هذه الشظية في الكاحل وقال وكأنه يتألم من جديد: كاد أن يغمى علي من شدة الألم عندما أغمضت عيني وشلعتها بقوة بالكماشة...

والشاهد الهام على مدخل قرية صميد هو ضريح القائد الشهيد فضل الله باشا هنيدي الذي سقط شهيداً بقنابل الطائرات التي تهاجم قرية صميد بعد أن كلف

الجنرال أندريا قائد الحملة الفرنسية آنذاك الطائرات بملاحقة الثوار الذين أقلقوا مضاجع جنوده بغاراتهم المفاجئة والمباغتة، حسب ما قال اندريا نفسه بمذكراته. وقد رفض أهالي صميد حتى الآن نقل رفاته إلى قرية المجدل لأنهم اعتبروه الضيف الشهيد لقرية صميد المجاهدة.

اشتهرت بستان شلغين بمواقفها الوطنية المتشددة ضد الفرنسيين والمتعاملين معهم. ولما احتل الجنرال أندريا مدينة شهبا في أيار عام ١٩٢٦ تقدم نحو أم الزيتون فاقترب من صميد ومنطقة اللجاه وجاء في مذكراته أنه طلب مقابلة السيدة بستان شلغين وزيارتها في بيتها، فرفضت مقابلة القائد الفرنسي مما زاده إصراراً على مقابلتها، كيف لا؟ وهو القائد الذي خضعت له كافة المدن والقرى في المنطقة ودفع بالثوار إلى منطقة اللجاه العاصية والمستعصية على كافة الجيوش الغازية حتى ولوها جموها من الجو.

وعندما أصر على زيارتها هيأت له مكاناً لاستقباله في الباكية "زريبة الأبقار" وحين أبدى الجنرال استغرابه... قالت له: أنتم وحوش مستعمرون هدمتم بيوتنا ومنازلنا بقنابل طائراتكم ومدافعكم ونحن ندافع عن وطننا وكرامتنا ولم يبق لنا ما نأوي إليه سوى هذا المكان المناسب لكم ولأمثالكم. ولما طلب الجنرال أندريا أن يضافحها رفضت قائلة: لتبلى[1] اليد التي تصافح الأيادي الملطخة بدماء الشهداء من أبناء وطني... ومع ذلك فقد أصر الجنرال على مصافحتها وبقيت يده ممدودة نحوها، فلفَّت إصبعاً واحداً بطرف فوطتها[2] وصافحته بإصبعها الملتفة بخمارها كي لا تلمس يده خلايا جسمها، وبعد الزيارة أشعلت النار بإصبعها لتطهرها من نجس المستعمرين. كانت بستان شلغين قد حمت أسيراً فرنسياً من القتل بعد أن أسقط الثوار طائرته، وأقنعت قومها بعدم المساس به لأنه أسير. وهذا ما تقتضيه دواعي الكرامة والشرف.

---

(١) لتبلى: لتهترئ، لتتفتت.

(٢) الفوطة: غطاء الرأس الكبير عند النساء في الجبل.

وعندما أعلن الجنرال أندريا استعداده ليكافئها ويقدم لها باسم فرنسا التعويض المناسب وإعادة بناء دارها وتعليم أبنائها رفضت كل هذه العروض قائلة: إن وطنها إولى بأن يفعل ذلك كله..!! عندها رفع الجنرال قبعته وحياها بكل أدب واحترام وغادر المكان...!!

هكذا كانت نفوس الثوار والمجاهدين من أبناء وطني كبيرة وكبيرة جداً بالرغم من حالة العوز والفقر التي كانوا يعانون منها وشظف العيش الذي فرض عليهم بسبب مقاومة الاستعمار. وهذا الأمير عادل أرسلان يقول عندما أبعد الثوار إلى الصحراء:

وعصبة عرياء فوق الثرى لكنها من مجدها في صروح

قد زعموا الوادي مرقداً لنا فكل بيت يحتويه ضريح

وما دروا أن نفوساً لنا تنفحنا كل يوم بروح

ـ المحطة الثالثة

ج ـ زهرة المدائن

في نجران

جائني جدعان وكان الطقس معتدلاً والشمس تطل بنورها الشاحب من بين الغيوم اللازوردية في الأفق الغربي عندما زارني مودعاً وهو يدندن مردداً: (يا زهرة المدائن... يا زهرة المدائن) مقطعاً من أغنية فيروز للقدس لا يبدله.....

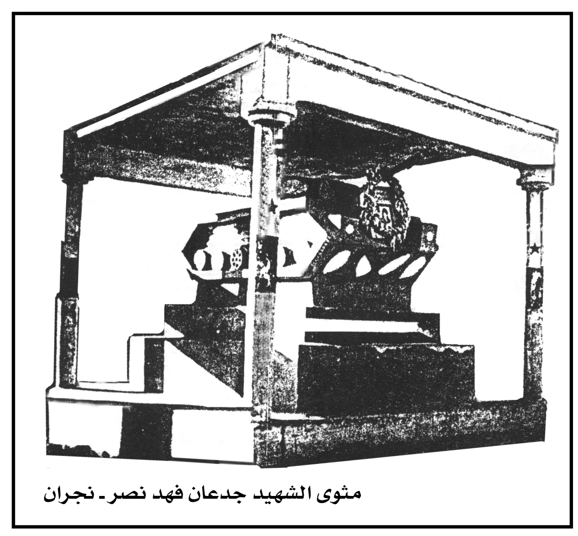
وبعد أن جلسنا متقابلين في المضافة في نجران، ناولته القهوة المرة وهو لازال يدندن نفس المقطع فقلت له:

تودعني بزهرة المدائن وأنا مسافر غداً إلى الجزائر وأنت إلى فصيلك بالجيش. رملاً.. زحفاً... وليس على لسانك إلاَّ مقطع ـ زهرة المدائن ـ كأنه على شريط مسجلة لوحده باستمرار وكأن جميع كلمات القصائد غاصت في أعماق اليم عدا مقطع يا زهرة المدائن؟؟....

فقال: أنا في المعركة للدفاع عن القدس وعروبة فلسطين، وقد أوصيت بتسمية مولودي القادم عندما تلد زوجتي الحامل (زهرة المدائن) حتى يتردد اسمها في نجران إلى الأبد. فقلت: فكرة جيدة لأن ذلك رمز ثابت في البلد وفي الوطن وقد راح يتردد في جميع أنحاء المعمورة وإلى الأبد، بوركت في العمل على زيادة ترداد هذا الاسم في نجران وفي كل مكان....

وكان الوداع الأخير بيننا: هو إلى المعركة وشرف النضال، وأنا إلى الجزائر في منتصف أيلول عام ١٩٧٠ وقد كنت في مدينة طرابلس في ٢٨ أيلول عندما سمعت نبأ وفاة عبد الناصر، نبأ وفاة جيل وآمال وأماني وبكينا وبكت الجماهير في طرابلس وبكى الشعب العربي بأكمله.

وكانت حرب الاستنزاف تدور حامية على الحدود العربية من مصر وحتى الأردن وسوريا ولبنان، وكنت أعلم بأن جدعان يخوض الآن معارك التحرير، معارك الشرف والكرامة الوطنية، ولكن لم يخطر ببالي أنه سيستشهد فيها كما حصل.



مثوى الشهيد جدعان فهد نصر ـ نجران

وبعد سنتين في الجزائر كمدرس مكافح أساهم بنشر التعريب، متنقلاً بين معاهدها ومؤسساتها التعليمية، وبين المدن والقرى فيها وصحرائها الحية الغنية بفلزاتها ومعادنها وبترولها، عدت إلى نجران لأجد جدعان شهيداً على مدخل البلد، بصورته وتمثال الدبابة التي استشهد فيها وهو يصلي العدو الإسرائيلي ناراً حامية وربما وهو يتمتم بمقطع ـ زهرة المدائن ـ في ساحة النضال والبطولة والاستشهاد الفعلي، وهو يدافع عن القدس وفلسطين ومبادئ القومية العربية التي آمن بها واستشهد من أجلها. وإذ بزهرة المدئن طفلة صغيرة تحبو في البيت بين أفراد العائلة توزع النظرات على من حولها دون أن تدري شيئاً عن اسمها وعن والدها الذي استشهد وهو يدافع عن هذا الاسم الخالد الذي نقله الشهيد فعلاً إلى نجران التي كثر فيها الاستشهاد والتضحيات والبطولات والمشاهد، مما أوحى للشاعر زيد جنيد أن يسمي نجران عروسة القرى المجاورة بل عروسة المقرن الغربي، وراح يقول فيها تلك القصيدة الخالدة، والتي أشعر أن أبياتها تنبع من أعماقي:

نجـــران عروســـة المقـــرن الغربـــي   نجـــران زهـــرة حـــب في قلـــبي

نجـــران عروســـة المقـــرن الغربـــي   نجـــران كمـــشة حـــب في قلـــبي

يـــا حلـــم ع جـــبين القمـــر سهـــران   تَ فـــسرو مـــا قـــدرت يـــا ربـــي

* * * * *

يـــا منتـــدى يـــا عـــصبة الـــشجعان   يـــا نجـــم ضـــاوي بعـــتمتي دربـــي

يـــا شمـــس صـــاغوا خيوطهـــا يمرجـــان   يـــوم التحـــدي خيطهـــا حربـــي

أنـــت القـــصيدة ومـــصنع القـــصدان   وفيـــك أملنـــا ومجمـــع الخـــلان

يا ما جمع كمشات من حبي

نصر ١٩٩٩/٣/١٠

ـ المحطة الرابعة

د. نجران في المقرن الجنوبي

في مطلع هذا القرن العشرين كانت الحياة العشائرية ما زالت تسود في الجبل حتى القضاء استمر عشائرياً بالنسبة للحوادث الكبيرة، كالقتل والغزو والخطف وهكذا كانت الحياة والعلاقات الاجتماعية، مازالت قريبة لحياة البداوة، وقد برز الكثير من القضاة المبدعين، مثل أبو سلام قاضي الدم، وشيوخ آل أبو عساف وآل أبو راس قضاة الدم والعشائر.. وكان تبادل الزيارات بين العائلات والعشائر يحصل بشكل وفود أو جماعات، تنتقل من قرية إلى أخرى على شكل مواكب من الفرسان أو الذلالة "الذلال: راكب الذلول أو الجمل" مع تزيين الراحلة "الفرس او الذلول" بشداد مزركش، بوضع السجاد الملون فوقه، والدندشة بالخيوط والشراشيب والمرايا....

١. أهالي نجران بقيصما والحريسة

ـ في أواخر الثلاثينات قام ركب من فرسان أهالي نجران فوق الخيول والجمال المزركشة بأبهى الحلل.... منتقلاً من قرية نجران إلى قيصما في المقرن الجنوبي من الجبل لزيارة الأقارب، فدخلوا إلى البلد مع مختلف أغاني الفرسان والجوفيات الحماسية، وإطلاق الرصاص في الهواء، مما أثار القلق والهواجس بين سكان القرى المجاورة، من كثرة إطلاق الرصاص، فأسرع حمزة باشا الدرويش مع وفد كبير من أهالي قرية الحريسة، على صوت البارود وإطلاق الرصاص، ضانين بوقوع كون كبير بقيصما، وعند وصولهم، احتفل بهم أهالي قيصما كثيراً، وقاموا مع وفد نجران بموجة زيارات لمختلف بيوت قيصما، وحضور كافة الولائم التي أقيمت على شرف الضيوف، وكان من الطبيعي أن يدعو حمزة باشا الدرويش الضيوف وأهالي قيصما، لتناول طعام الغداء في اليوم التالي في داره بالحريسة. وقد لبّى الجيمع الدعوة، حيث كانت العراضات مع الأغاني الحماسية، واستقبالات أهل الحريسة

متميزة، أكثر مما كان في قيصما:

((**العراضة الواحدة عدة أفواج أو صفوف متتالية**))

الفوج الأول: مجموعة اللعب بالسيف والرماح على ظهر الخيول.

الفوج الثاني: أغاني الفرسان: صفين من الشباب أصوات عالية ونفس طويل.

الفوج الثالث: صفان من الشباب يغنون الجوفية أمامهم لا عب المجوز.

الفوج الرابع: شباب الدبكة مع الرقص بالسيف والترس.

جميع الأهالي: رجالاً ونساءً على الجانبين يستقبلون العراضة بالترحاب ويرشقونها بالورد والملبس ويفرغون عليها زجاجات العطر الفواحة.

مشاهد مدهشة، وخلابة، ومؤثرة.. !!!

٢. أهل نجران في عرمان

انتقلت الوفود في اليوم الثالث إلى قرية عرمان والبلد عرمان عريقة بالكرم والشجاعة والفنانين والشعراء قلَّ من يجاريهم بالشعر وقصائد الفن. كان شباب كل قرية في تلك الأيام يتنافسون مع شباب القرية الأخرى بنظم قصائد الفن المعقدة ذالت المعاني الصعبة والألفاظ الجذلى التي يعجز شباب القرية الأخرى بالرد عليها - والوفد الذي يعجز عن الرد على شباب الأخرى يكون مغلوباً يعترف بانتصار الآخرين عليه.

وفي عرمان عدد كبير من الشباب المبدعين بقصائد الفن والرد السريع على المقاطع الأولى من قصاد الزائرين. وقد اصطدم شباب نجران بهذا الإبداع وكادوا يخسرون في التنافس مع شباب عرمان، فلجأ ثلاثة من شبابهم على الفور إلى إنتاج مقاطع من قصائد معقدة يصعب الرد عليها الأول أبو اسماعين جاد الله محمود نصر الذي وقف على رأس المجموعة من شباب عرمان وقال بتواتر سريع:

لبس الزهر حل الظهر موت قهر صار لهن شهر وعلى النهر يردن...!!!

فتلعثم شباب عرمان بالرد على هذا المقطع الذي ردده جاد الله لهم ثلاث مرات لكن بسرعة. وفوراً طلب من الشاب سعيد ذياب أن يقدم الشباب عرمان قصيدة أسهل. فتقدم وقال:

يا غَضِيَّ البال قد بلبلت بالبلبال بال　　بالنوى زلزلتني والعقل بالزلزال زال

فكان هذا المقطع أصعب وتبلبل شباب عرمان بالرد عليه أكثر من الأول فطلبوا من الشاب سعيد القيسي من نجران أن يقول لهم قصيدة أسهل. فأخذ مكان سعيد ذياب وراح يقول:

زتونه زلت زيتاً وزيتاً زليت　　زرزور زاير زقلي زتون نقيت

فتلعثم شباب عرمان أكثر لثالث مرة لذلك فاز شباب نجران، مع أن هذه المقاطع الثلاثة، نُظمت فوراً وليس للمقطع بقية أخرى، كل مقطع كان قصيدة قصيرة للتعجيز.... وقد أقر شباب عرمان بتحقيق النصر بالمنافسة لشباب نجران، مع سيادة جو المرح والروح الرياضية والترحيب الحار بالضيوف والزوار.

من قصائد الف التي كانت تتردد في السهرات والأعراس تلك الأيام:

١. قصيدة الفرفورة　　"غزلية: شاهين نصر"

يا فرفورة لا تحبي غير المزيون　　بياضك مثل الشبي سكر مسحون

بياضك مثل الشبي لم متخبي　　عنك قال المتنبي سوسحتي الكون

* * * * *

إن كان وطالك إضامي ببقى بخبيك　　حتى عيون الحرامي ما تلد عليك

بجعل نتف من عظامي سلم تسليك　　وصدري محل الإقامي والدريزون

* * * * *

والدنيا بتتنغصلك لحتى تشوف　　لمحة وتعرف ما أصلك لتغني أوف

شفت النجم بيرقصلك من دون دفوف　　روح الأعزب ترخصلك والعسر يهون

* * * * *

لمـا نفكـك لبنـودك والـصدر يبـان   العاشـق لـو شـاف نهـودك يـنجن جنـان
البحـر بيضح لوجودك من دون سنان   خجـل الـورد مـن خـدودك والزيزفـون

* * * * * *

والحاجب سيف الماضي سيف البتار   يقطـع لـراس القاضـي مـع سـبع أنفـار
بـس كـوني علـي راضـي تنـزور الـدار   مـدفع نهـدك بالفاضـي يرمـي البـالون

* * * * *

نتبـسمت يغنيلـك بـر الـصعيد   هـون أن شعـشع قنـديلك ضـوت مدريـد
لكـن عقـدة منـديلك يـا منعنـع بيـد   هـاللي يـسوق طرنيبـك بالدركـسيون

٢. قصيدة الحلوة   "غزلية: شاهين نصر"

كان قد أرسلها للشاعر فهد عبد الحي

يـا حلـوة شـلون أواسـي بتقـول أخطـي   نـاهي مثـل الألماسـي علـى هـذا الـزي
نـاهي مثـل الألماسـي شـلون أواسـي   حبـك مـن جـوا حواسـي كـاويني كـيّ

* * * * *

حبـك والله كـاويني وجـسمي تلفـان   وخلافـك مـا يـشفيني حكـيم لقمـان
تـسوي ألـف وميـتين عـسكر هجّـان   الولايـات المتحـدين مـن الـروس شـويّ

* * * * *

بــبلاد افــرنج وعنــا مثلــك مــا صــار   بــسيطك صــار مكنَّــا[1] ويقــول أشــعار
والتكــسي عَ بتــستنَّى علــى بــاب الــدار   يــا أفكــارك شـــندلن وتقــولي فــدي

* * * * *

لبكتينــا بجمالــك مــا فهمنــا شــلون   عالأرض أن مر خيالك كهربتي الكون
بغناجــك وبــدلالك كــم قلنــا فنــون   وهــذا كلــو كرمالــك لتكــوني لــي

* * * * * *

قالــت لــيش محارينــا وادهــشتوا البــال   كــان خلافــك يطلبنــا يــا نــصر اقبــال
طــرد الهــوى معــذبنا يــا .ف.هـــ. داال   تأمــل فيهــا وجاوبنــا يــا عبــد الحــي

وتحضرني هنا بعض الأبيات من جواب الشاعر فهد عبد الحي. على نفس الوزن والقافية:

يــا حلــوة قــدّك وايـ مــن ابــدع زي   وبـــــصحبة هــــالعوايـ وردت عـــــالمي
بـــصحبة هـــالعوايـ جتنـــا لايـ   خـــايـ مـــن ربـــك خـــايـ وتـــوقي شـــوي

* * * * *

خـــايـ ربـــك نـــابيني يـــا أم الـــذهبان   كرمالــك يــا نــور عيــني لاسكن عمَّــان
تــسوي ألــف وميــتين عــسكر ســريان   ومثلـــك مـــا رأت عـــيني عَ درب المـــي

---

(١) مكنا: شاعر زجل شعبي

ومن قصائد السهرات التي شاعت تلك الأيام:

٣. قصيدة يا مدلعة

يـــا مدلعـــة يـــا مدلعـــة يـــا مدلعـــة تبهرنـي الـشمي الطالعا حسنك دعا يامـدلعا

يــــــا مدلعـــــــة يــــــا مدلعـــــــة

تبهرين الشمس الطالعة والساطعة واللامعة وجفــون عينــك دامعــة قلــبي معــا متولعــا

يــــــا مدلعـــــــة يــــــا مدلعـــــــة

قلـبي معاهـا ذابـي وراسـي شـاب وفكـري غـاب تــشبه عــانود الرابــي بوســط الغــاب مطلعــا

يــــــا مدلعـــــــة يــــــا مدلعـــــــة

تطلــع كــالغزالي مــا الهــا مثــال بالرجــال لوبـدفع فيهـا حمـال مـن الأمـوال مـا بتنفعـا

يــــــا مدلعـــــــة يــــــا مدلعـــــــة

لـو بـدفع فيهـا كـره بهـا الحـرة زيـن الغـرة تـسوى دمـشق الكبرى حتـى البـصرى بأجمعها

يــــــا مدلعـــــــة يــــــا مدلعـــــــة

تـسوى البـصرى وبغـدادي والـبلاد لهيـا أجـوادي حــسنها عــالخلق زاد ريــم الــواد مــا أبــدعا

يــــــا مدلعـــــــة يــــــا مدلعـــــــة

مـا أبـدعها بأصـولا بـين حقـولا بـالله أصغو لـه بقـــوافي مـــن قـــولي مـــا منقولـــة متوقعـــا

يــــــا مدلعـــــــة يــــــا مدلعـــــــة

متوقـع هالنـشمية تنـادي عليـي شـوي شـوي بنغماتها هالسحرية بالله اسمعها بالله اسمعها

يــــــا مدلعـــــــة يــــــا مدلعـــــــة

٤. قصيدة درت الدنيا

درت الـــــــدنيا ومـــــا هيّـــــي　　لحـــــد شـــــطوط البحريّـــــي

عـــــيني مـــــا شـــــافت مثلـــــك　　يـــــاأم عيـــــون اللـــــوزيّي

عـــــيني مـــــا شـــــافت مثلـــــك　　طيـــــور الجنـــــة ناغتـــــك

أولاد الـــــذكا شـــــهدتلك　　قـــــاموا بـــــصيحة قـــــويّي

درت الدنيا وما هيّ

بـــــصيحا قـــــوييّ قـــــاموا　　مـــــن حـــــين الـــــذي خلقـــــتي

عـــــشاق بحبـــــك ســـــاحوا　　لا مـــــا كـــــبرتِ وزوقـــــتِ

نـــــاس تهنـــــوا وارتـــــاحوا　　طلـــــوا يغنـــــوا لفقـــــتِ

خـــــدك يـــــسعد صـــــباحوا　　الـــــدنيا منـــــو مـــــضويّي

درت الدنيا وما هيّ

منديلـــــها عالموضـــــة جديـــــد　　مـــــن مـــــسارح مرســـــيلا

مطـــــرز ومحيـــــك ع الإيـــــد　　ملـــــون شـــــفاف نحـــــيلا

لمـــــا لبـــــستو عالعيـــــد　　طيـــــور الجنـــــة تنـــــاغيلا

شـــــوفو بلمـــــع لبعيـــــد　　شـــــبه جليـــــد عـــــالميّي

درت الدنيا وما هيّ

شـــــعرها أســـــود مثـــل الليــــل   يــــــشبه لعتمـــــــة كـــــــانون

ســــابل مثــــل شـــــعور الخيـــــل   خلقـــــــة لا صــــــباغ ولا دهـــــــون

قــــصت ميـــل ورخـــــت ميـــــل   قـــــــصت قـــــــصة فرنجيّـــــــــي

درت الدنيا وما هيّ

٥ . يا مغنّجي : مطلعها

يــا مغنجــي يــا مغنجــي يــا مغنجــي   يـــا أم الكـــذيلا مـــدهّني ومـــدرّجي

يــــا مغنجـــــي يـــــا مغنجــــي

الفصل الثا

من أدب البادية

ـ الباب الأول

أدب البادية

آ ـ من تراث الجزيرة العربية

تبقى الجزيرة العربية منبع الخير والعطاء والفضائل العربية والإنسانية بصورة خاصة، وكما حباها الله بلج طام من الأخلاق والفضائل والأفكار الإنسانية الراقية حباها بلج طام من الثروة المعدنية والبترولية لتنمو في ربوعها وتتكامل الإمكانيات المادية والمعنوية.

اشتهرت قبائل الجزيرة العربية بالكرم والشجاعة وحماية الملهوف والمستجير، قاتلت وتقاتلت حررت وتحررت، ومازالت تناضل لتحافظ على ثرواتها وقيمها وكراماتها التي ضحى الكثيرون من أجلها خاصة في آواخر القرن الماضي وبداية هذا القرن، حيث كان الغزو والكسب بالقوة أمراً مباحاً تقره العشائر البدوية وتأخذ به جميع القبائل، وقد فرز هذا المجتمع البدوي العشائري القبلي شخصيات قوية بالشجاعة والفروسية والشعر والرأي السديد....

من عشائر الجزيرة العربية التي اشتهرت في هذه الفترة عشيرة آل سعود وعشيرة الرشيد بفرعيها: فرع العبيد وفرع العبدلات.

كان سلبى بن الرشيد من أبطال وفرسان الجزيرة العربية ويسيطر عليهم في كل معركة، فأطلق عليه لقب "أبو وجه أخضر" كما أطلق بنو معروف على الأمير مصطفى الأطرش هذا اللقب لأن الخصم المقابل له كان ينـدحر أمامه وينغلب باستمرار. وقد ظل الغزاة يرهبون سلبى بن الرشيد ويخشون صولته حتى بعدما شاخ وكفَّ بصره.

في حملة غزو كبيرة قادها العارضي مع قومه السعوديين علىبعض القبائل المعادية لم يجدوا الخصم في مرابضه المقصودة فعادوا خائبين دون منازلة أحد.

وعندما صادف مرورُهم نجع سلبى بن الرشيد، اقترح القوم على عقيدهم غزو ابن الرشيد حتى لا يرجعوا لديارهم مفاليس، لكن العارضي لم يوافق على مهاجمة سلبى بالرغم من اقتراح رفاقه بالاكتفاء بسلب نصف البوش فقط من ابن الرشيد، وقد أجاب قومه قائلاً كان سلبى يصدنا دوماً بالغزو والمعارك قبل أن يكفَّ بصره. وإذا كسيناه الآن وهو كفيف يُعتبر ذلك معارة أكثر منه مفخرة، لأنَّه كفيفٌ مُقعد وهكذا حكم على قومه بمنع هذه المنازلة غير المتكافئة. وكان بيان بن سلبى قد هددهم عند اقترابهم من نجع أبيه بالقصيدة التالية:

بيان ابن سلبى كان قنالوا حصان   زين المعاني سمّح الله وفوقه

معارفه وتقول هدب أرجوان   بملعب الخفرات عمرنا سوقه

غليظ من فوق الركب والد فان   حشو السروج الفاضيات بنوقه

مناخره تقول انهن محاقن دهان   رفاع براطمها وساع شدوقه

واليا ركض بالقاع يخلف ذهان   يرمي العشا للطير وأيّا السلوقه

دنيّ لخيال العضيدا بيان   واللي لبنها كل ضيف يذوقه

واليا التقيت العارضي والتقان   بمشنشل لا نطيعه عوقاً يعوقه

وان قدر الرحمن ويا الفوقاني   لفتح بخيل سعودهم كل سوقه

❖ ❖ ❖ ❖ ❖   ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

وعندما انتشرت قصيدة بيان هذه بين السعوديين تحمس ندا ابن سعود ورد على بيان بالقصيدة التالية التي يطلب فيها من والده تجهيز حملة جديدة لغزو بيان:

يـــا ســـعود دَنِّ لـــي مـــتين الجـــوادِ   ســرجاً زهـا مـا صـنعه كـل صـنّاعِ

مثـــل المهـــا الرابيـــة بالحمـــادِ   تقطـع معامـك الرَّمـك يـوم الفـزاع

درعـــا زردهـــا مثـــل عـــين الجـــرادِ   بــولاد صــايـ في كأنهـا الـشمس لمـاعِ

ســيفاً صــقيل ومــن شــفار الهنــادِ   واليـا هويتـه بمنكـب الـراس قطـاعِ

رمحـــاً طويـــل ومـــن طـــوال المـــدادِ   وشـلفته يـا سـعود نافـت عـن البـاعِ

وقد زاد الهرج والمرج بين الناس عند انتشار هذه القصيدة وزاد الهجاء وكلام التحدي بين الفريقين، مما حمل بيان ابن الرشيد متخفياً نحو نجع ندا ليطلع بنفسه على ما يقول ويُقال......

ثم يرد بعد ذلك على ندا بن سعود بالقصيدة التالية:

يـــالله يـــاللي عـــالعوالم رقيبـــة   يـــا لله نطلبـــك العفـــو والـــسماح

مـــن ظـــالم يبغـــي عينـــا النهيبـــة   حنـــا حمـــاة ديارنـــا والنـــواحي

والعارضـــي وش لـــو علينـــا طليبـــة؟   يرســل كلامــاً مثــل كــز الرمــاحِ

حكـــي الفقـــا يـــا نـــدي عـــار وعيبـــة   مـــا يلتقـــي عنـــد الوجـــوه الفـــلاحِ

عاداتنـــا نخـــشى النجـــوع المريبـــة   نجـــز القـــرون اللـــي علـــيهن ريـــاحِ

الفوز بقلب فوز

كان ندا ابن سعود من خيرة شباب القبيلة وأمرائها، وقد كان في ريعان الشباب عندما جاءه شاعر يصف له جمال فوز النجدية، ابنة حمد الأشقر، أمير نجد فقصدها متخفياً ليعمل قهوجياً متسكعاً عند الأمير ليحوف ويتعرف.....

وكان من عادة الأمير، عندما تجهز القهوة في الصباح مبهرة بالطيب والهال، أن يطلب من القهوجي تقديم الفنجان الأول إلى فوز، تاج رأسه، لتذوقه. فأنبهر القهوجي

ندا بجمالها، وفُتن بقدها الأهيف، مثلما فُتن برقتها ورجاحة عقلها ن ولكن من أين له أن يحظى بضالته، وهو القهوجي الذي يُدعى "الصليب" الخادم الوضيع!

أمَّا فوز فقد اكتشفت هذا الوافد الجديد، فهو ذو هيبة وتبدوا عليه إمارات السيادة والإمارة، ولكنها اخفت مشاعرها اتجاهه، وأخذت تعامله معاملة قاسية ومهينة، هي وأخوتها الخمسة الذين لم يُؤخذوا ولا يمكن أن يُغلبوا في المعارك مهما كثرت عليهم جموع المبارزين.

وقد صادف أن قام، بعد ذلك، أمير نجد والد فوز مع أخوتها وكامل فرسان القبيلة بغزو بعيد المطاف استغرق أياماً عديدة لبعد المسافة. وخلال غيابهم غزا فريق معاد تجمعهم، فقش الحلة والحلال لعدم وجود المقاومة، ولم يترك لأهالي الخيام ما ينقلها عند الرحيل.

لجأت فوز إلى الخدم والشيوخ المسنين والرعاة يقودهم العبد سعيد ليطلبوا العقلة من الغزاة "نقالة البيت" وبعض الحلال المكسوب.

اسرع الشيوخ والرعاة يقودهم العبد سعيد في أثر الغزاة يطلبون "العقلة" نقالة البيت يا النشاما !!... بينما بقي القهوجي "الصليب" في الديوان لم يتحرك، فأقبلت فوز تحثه على الالتحاق بالركب. وهي تتوجس أن لا يكون صليبياً بل أميراً ابن أمير وكانت تثيره بعبارات الهجاء، حتى وافق أخيراً على أن يلحق بالركب بشرط أن تعطيه فرس والدها وتكفَّل بحمايتها وبعدم التزحزح عن صهوتها حتى لو أدى ذلك إلى هلاكه.

ركب "الصليب" الفرس النجدية بالمقلوب، وجهه إلى الخلف، يدق على مؤخرتها بالمهباج وحتى غاب عن الأنظار، فعرّج على أسلحته التي كان يطمرها بإحدى الرجاجيم، وسربل نفسه بالسيف والترس ومختلف الأسلحة قاصداً الغزاة بسرعة بعد أن ابتعدوا مسافة كبيرة عن النجع، وما أن وقعت عليه أعين الغزاة وهو يلعب بالسيف والرمح فوق فرس الأمير السريعة حتى أخذت قلوبهم ترتعد خوفاً وهلعاً...!! هنا صاح عليهم أحد الشيوخ المجربين قائلاً: هذا الفارس سوف يشتت شملنا خزايز يا ربع خزايز !! واختار هو خير قاعود كان لفوز ابنة الأمير، فساقه بصدر حصانه

وانتحى به نحو تلة مرتفعة يرقب جندلة رفاقه الواحد تلو الآخر بهجوم الفارس الجديد ويرصد فرارهم من أمامه ناجين بأرواحهم تاركين البوش والحلة والحلال للفارس والرعاة الفائزين عليهم.

وبعد إنقاذ البوش لاحظ الفارس البارع القاعود برأس الزملة يقفز مسربالاً بمكانه فنحره وهو على ظهر فرسه ليعيده إلى البوش، وما أن رآه الشيخ غائراً نحوه حتى ترك القعود وولّى الأدبار ناجياً بروحه فراراً سريعاً عندما كان القاعود بعدما تركه الشيخ ـ يهرول مسرعاً نحو البوش الذي استعاده المغوار بتمامه، وقد ساقه مع الرعاة نحو النجع بعد أن أخذ الأعنة أخفاها تحت صخرة واسعة، مهرها بكفه المحنى بالدم، أخفى أسلحته بمكانها، وعاد يركب الفرس بالمقلوب، وكأن العبد سعيد هو الذي استعاد البوش والحلة والحلال، فقد كسر الأعداء وفرَّقَ جموعهم بغاراته ومطاردته الوهمية، وكان الرعاة يقفزون حوله كأنه فارس الساحة، وعندما قام هذا العبد يتباهى ويفتخر بجندلة الغزاة واسترجاع البوش وكسر الغزاة.

هجمت فوز وبنات النجع يستقبلون البوش العائد والرعاة استقبال للفاتحين وأقيمت لهم وليمة كبيرة على شرف نجاحهم باسترجاع البوش ودحر الغزاة وقد تناست فوز الصليب عمداً، فانزوى في مقعد الأمير كأنه لم يفعل شيئاً.

أَلحَّ الرعاة على تقديم الطعام للصليب وزيادة الاهتمام به لأنهم شاهدوا عمله في المعركة، لكن فوز التي تعمدت إثارته قدمت له بقايا طعام الرعاة، وراحت تثيره بالكلام مرة واللمز مرة أخرى، علَّه يتكلم ويبوح بشيء عن حاله وأحواله.

وأخيراً تركت الطعام والفاطر "الربابة" بجانبه، وابتعدت حتى اختفت عن الأنظار، ثم عادت خفية واندست تحت رواق البيت تراقب حركات هذا الصليب الذي وضع الطعام جانباً وهيّأ الفاطر، ثم راح يقول:

الله مـــن قلـــب علـــى الجـــور مجبـــور   هـــاللي يفـــاور شـــبه فـــورات القـــدور

يامـــا تـــشاورنا ويامـــا لنـــا الـــشور   ويامـــا تمـــشّينا بـــزين الرايـــات

يامـا نطحنـا ضـيفنا بدجـة الليـل   يامـا سـحنّا القهـاوي مـع الهيـل

يامـا تكينـا عالمناسـف مـن الحيـل   وسمـن الـزهيري عاشـقح الـزاد فـات

يامـــا اعتلينـــا ع ظهـــور المطايـــا   يامـــا انـــضجعنا ع ورك الحنايـــا

مـن بعـد مـأكولي دسـوم الـشوايا   مـا هـو لنـا يـا فـوز فـضل الرعـاة

عندما سمعت فوز هذه القصيدة ومن الصليب نفسه برزت فجأة من تحت الرواق وراحت ترد عليه بقصيدة تحدٍ وإثارة حتى يؤكد كلامه:

يـا صـليب لا توطـأ سـاحات الرجولـة   يـا صـليب مـانتش فـارس معـدود

يـا صـليب لـو أنـك كـريم ببيتـك   مـا كنـت ترضـى بعيـشتك مكمـود

يا صليب لو أنك كسرت جموعهم   ويـن الرجـال اللـي عليـك شـهود

يـا صـليب لـو أنـك عـشيق للبنـا   ويـن المبـارم والـذهب بزنـود

وهنـا تحمـس الـصليب وتنـاول الفـاطر وراح يـرد عليهـا ليؤكـد عملـه ونـسبه، فيقول:

يـا فـوز دعـك مـن الكـلام المـا سـوي   يـا فـوز مـاني الرجـال البـود

يـوم العـدى لطروشـكم واغـدوا بهـا   واتلـى طلـب فكيـت أنـا القـاعود

وإن كان تقولي ما كسرت جموعهم   ربعـك علـي بـالطراد شـهود

وإن كـان تقـولي مـش عـشيق للبنـا   راعـي مبـاريم الـذهب بزنـود

وهنـا تحمـست فـوز وطلبـت مـن القهـوجي أن يفـصح لهـا عـن كـل شـيء، فـراح يصدقها القول عن حسبه ونسبه وسـبب قدومـه إليهم متخفيـاً وتحمـل البـؤس والمشقة وحياة الذل والإهانة.... إن ذلك كله من أجلها فقط كما بين لها كيف أخفـى الأعنـة بعد الغزو، وشجع العبد سعيد على الإدعاء بأنه البطل المنقذ الذي جندل الأعـداء ورد لهم البوش.

سُرَّت فـوز وارتاحـت نفسها لمـا سمعـت واكتـشفت، لكنهـا كتمـت الخبـر عـن الجميع حتى عاد والدها الأمير من الغزو البعيد مع أولاده، وعندما اقتربوا من نجعهـم وخيامهم المضروبة لاحظوا الاضطراب وتغيير كثير من المعـالم حـول النجـع، وكـأنَّ النجع قد تعرض لهجوم والغزاة بغيابهم، لكـن البوش مازال سـالماً في المرابض فقال:

إذا كـان النجع قد تعرض للغزاة وتيسر من يسد غيابنا، قسماً سأزوجه فـوز ولـو كـان العبد سعيد.

وفعلاً فقد استقبله العبد سعيد على أنه البطل الذي استرجع البوش، لكـن فـوز أخبرت والدها وأخوتها بما حدث بالتفصيل عن ضيفهم الصليب ابن سعود.

ولمـا طلبـوا مـن العبـد سـعيد جلـب الأعنـة وتوزيعهـا بـشكـل صـحيح لم يجـب أبـداً عندهـا ذهب الأمير ندا مع سراة القوم إلى الصخرة الـتي تحمـل صـورة كفـه المطـابق، فجلب الأعنة ووزعها بشكلها الصحيح فاعترف الناس بشجاعته وفروسيته المتفوقة.

وتزوج فوز ابنة الأمير وسط مواكب الأفراح والابتهـاج، ثـم عـاد لأهلـه مـع زوجتـه مرفوع الـرأس والهامة، وعـاش الجميع باللـذة والنعيم تـاركين لنـا أن نترحـم علـى أيـام القبائل والغزوات ومواقف العز والشجاعة، ومواقف الفروسية والكـرامة.

السويداء في ١٩٩٩/٦/١١

ـ الباب الثاني

ب ـ العربود

حكاية واقعية من البادية

حمدان من الشباب المولعين برحلات الصيد في أراضي البادية المقفرة، مع بعض رفاقه من الشباب المهوسين في التجوال في أراضي الحماد الواسعة المتشابهة تقريباً، متنقلين بين مرابض البدو، والرسوم الدارسة التي كانت تزخر بالحياة عندما كانت تمرع البرية، وتكثر فيها الخيرات النباتية بعد هزيع الرعد والأمطار الغزيرة التي كانت تتجمع في أحواض واسعة تروي الزرع والضرع والمواشي والعباد خلال الشتاء والربيع من كل عام، وهذه المرابض معروفة بأسماء مختلفة مثل ـ حاوي عوض ـ رسوم الأمير ـ مقطع كف ارشيد ـ وغيرها....!

ـ بينما كان فريق حمدان للصيد يطارد الغزلان والأرانب وبعض الطيور، يركض الفرسان هنا ويطاردون هناك أدركهم التعب والليل معاً فلجأوا إلى بعض المضارب الخالية للراحة من عناء الرصد والمطاردة والتربص في جو البادية القائض، وليرقدوا ليلتهم كالمعتاد بعد حفلة سمر ومرح في ليل البرية الهادئ المستكين، فبدأوا بالتحضير لطعام العشاء مستعملين قربة الماء وبعض الطحين والملح لصنع العربود الذي طمروه تحت الرماد في قلب الجمر المتأجج ليستوي على نار هادئة في معزل عن الهواء والنور...

وبينما هم يتسامرون في جلسة الانتظار سمعوا لجب أصوات وضجة تدل على فريق راحل في طريقه إليهم، وخوفاً من الصدام مع بعض القبائل المعادية انزاحوا قليلاً عن طريق الركب على أمل العودة لعربودهم المطمور بعد اجتياز الراحلين للمكان. ولحسن الحظ أو لسوء الحظ أغرى هذا المكان المنبسط المريح الفريق الراحل ليحط فيه الرحال ونصب الخيام فوق العربود وبجواره وكأنه المكان

المناسب للإقامة والاستقرار وقد أمتدّ انتشار الخيام على مساحة واسعة من الأرض كادت تصل مكان المراقبة الذي يكمن فيه حمدان ورفاقه، وما انتصف الليل حتى تم الاستقرار وهدأت ضجة العمل واستسلم أفراد القبيلة الراحلة والنازلة الآن للنوم والراحة من عناء السفر ومشقة المسير.

أما فريق الصيد الذي ملَّ الأنتظار والمراقبة، مع صراخ البطون الجائعة الخاوية راح أفراده يوجهون أبصارهم وأفكارهم نحو عربودهم الذي ملَّ الاستواء والانتظار أيضاً في أعماق الرمضاء، يتربع فوقه الصيوان المربوع الكبير لعقيد القبيلة النازلة الذي كان يلفّه السكون أيضاً بعد أن استسلم الناس كلهم للنوم.

ـ كان حمدان قد تكفل بجلب العربود لرفاقه ولو من تحت الصيوان الكبير، لذلك انسلَّ متخفياً بين الخيام المنصوبة على أعمدة تشبه الصواري، تشدها حبال التثبيت على كافة الجوانب، فتقدم يتسكع بين الحبال بخفة ورشاقة كأنه كلبٌ أعرج، حتى أصبح على بعد أمتار من الهدف، فاندسَّ تحت رواق الصيوان يزحف على بطنه حتى لامست أصابعه الرماد الذي أنطمر به العربود قبل سقوط الظلام، وقد شعر كأن رائحة العجين الذي استوى على النار الهادئة في الأعماق تسري في عروقه لتصارع صراخ المعدة الخاوية من الجوع والانتظار، لكن ما هاله وأثار اضطرابه عندئذٍ، هو ذلك الجسد الطويل الذي يرقد نائماً يتنفس بشدة دون حراك، كأنه عربود آدمي على وجه الأرض يوازي تماماً العربود المطمور تحته، تغطيه وتمتد قليلاً حوله بعض البسط والأقمشة الملونة المزركشة، كان على حمدان المتوجس خفية أن يزيح هذا الجسد المسجَّى أولاً، ليتمكن من انتشال عربوده المطمور...! لذلك قطع النفس تقريباً وراح يمهد الأرض بجانب الجسد النائم ليتزحزح مبتعداً عن المكان المقصود...

وفجأة...!!! انتصب الجسد بوجهه جالساً، وقد أطبق بكلتي يديه على زنده بقوة وصاح به... مكانك... لا تتحرك... إنسُ أنت أم جن؟ أنبئ بروحك قبل أن تموت...!! حرامي أم حوَّاف..؟؟

وهكذا نزلت هذه الأسئلة المتتالية السريعة نزول الصاعقة على حمدان الذي

كان يرتعد حتى كاد يفقد صوابه، لكنه عاد يسترجع شجاعته وجأشه المنهار بعد أن ميّز نبرات الصوت النسائي الذي كان يهدده. فطلب منها الهدوء وهو ثابت بوضعه ومكانه رابط الجأش وبكل اطمئنان أجاب: لست لصاً ولا مراهقاً أمهليني من فضلك لأشرح لك الموضوع.

وقد استعذبت الفتاة صوت الشاب المجيب وقدرت تلك الشجاعة الخارقة فتراخت قبضتها على الزند وراحت تسترق السمع بهدوء وسكون حتى كانت نبضات القلبين المتسارعة بدقاتها كأنها بحادثة الطنين الفيزيائية وغدا قلب كل منهما يدق كأنه في جسد الآخر، وما كاد حمدان يصل لآخر القصة حتى اثبتها بانتشال العربود المطمور ساخناً مقمراً يسيل اللعاب من رائحته الشهية، فناولها منه قطعة صغيرة قائلاً: ليكن بيننا خبز وملح. مضغت الفتاة القطعة بهدوء وسرحت بعيداً بتفكيرها كأنها غابت عن الوجود حتى شد حمدان على يدها فانتبهت كأنها تستفيق من حلم فسيح.

كان من الصعب على كل من النديمين في هذه العجالة الصبابية - معرفة معالم الآخر أو مكانته الاجتماعية بدقة، لكن حمدان تصوَّر أنها ابنة الأمير كما تصورته الفتاة من أسياد القوم وأشجع الرجال. وقبل أن تبدي قناعتها التامة بما قال زودته ببعض الزاد من عندها مكررة عبارة "وليكن بيننا خبز وملح" وقالت له: دونك عربودك ورفاقك وأنا بانتظارك جالسة في مكاني حتى تعود وذلك لأمر هام...

انطلق حمدان إلى رفاقه يحمل العربود والزاد الوفير فرحاً مسروراً بنشوة النصر يشغل باله هذا الأمر الهام الذي ذكرته الفتاة وجلست على فراشها تنتظر عودته بشأنه. وبينما كان يزدرد الطعام بسرعة مع رفاقه كان فكره شارداً نحو فتاة الأمر الهام... !!.

كانت الفتاة بهذه الفترة تنتظر بفارغ الصبر تخطط باتزان كيف ستطرح عليه مشكلة أخيها المنيع عند قبيلة معادية في قعر بئر تربض فوق بابه ناقة معقّلة من أطرافها الأربعة بالحبال حتى لا تتزحزح من مكانها...

عاد حمدان لفتاته مسرعاً وبعد أن عرّفته باسمها فوز ابنة أمير عشيرة الرمضان

أخبرته عن شقيقها المنيع وأضافت بأنها قانعة ما من أحد يستطيع انتشاله من ظلمة البئر وإنقاذه من براثن الموت إلا شجاعة حمدان وذكائه. ووعدت بأن يكون له ما يطلب إذا تمكن من القيام بهذه المهمة الصعبة.

ودون الدخول بالتفاصيل تثبت حمدان من مكان القبيلة المانعة لأخيها وموقع البئر في النجع وودعها ثم ودَّع رفاقه بعد أن ضرب لهم موعد للقاء في مكان بعيد خلال الأسبوع القادم، وسار على بركة الله لتنفيذ المهمة.... خلال الهزيع الأول من الليلة التالية كان حمدان إلى جانت خيمة صغير "خربوش" تقيم فيه عجوز مسنة على طرف النجع المقصود وبعد أن دغدغ عواطف هذه العجوز بالأحاديث والهدايا والأصفر الرنَّان، راحت تشير إلى البئر المنيع والناقة المعقّلة فوقه وحجمها واتجاهها، ثم تقدم كل إمكانياتها للمساعدة. فسُرَّ حمدان وتقدم يدبُّ على أطرافه الأربعة كأنه كلبٌ رشيق حتى اتخذ مكانه منبطحاً خلف الناقة على أذرع منها ليطرق على مؤخرتها بحصيات متتالية فتزحف قليلاً إلى الأمام وهي جاثية عند كل طرقة شديدة.

وبعد نصف ساعة تقريباً من تكرار الضرب أصبحت تجثو متربعة إلى الأمام من فتحة البئر التي اصبحت بتمامها خلف الناقة، وبعد أن زاح الملح والرمل رفع الجلد الذي يغطي باب البئر وكان يسمع انين المنيع المتهالك على آخر رمق عند القاع، وما كاد يسمع المسكين بصوت الإنقاذ حتى تحامل وانتصب بدون الوعي رافعاً يديه إلى الأعلى بصعوبة بالغة فانتشله الفارس المنقذ بسهولة لخفة وزنه، وحمله يتنقل متوجساً بخفة وحذر بين الخيام حتى حزّمه جيداً على راحلته وودَّع العجوز منطلقاً بسرعة ليبتعد مسافة كبيرة عن النجع قبل بزوغ الفجر، وعند العصر كان الذلول الذي ينقل الرجلين ينيخ راكعاً على مهل أمام صيوان العربود المربع، وما وقعت عليه الأبصار حتى انطلقت الصيحات وزغاريد الفرح والابتهاج تعلن إنقاذ المنيع بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من الموت المحقق، وراحت فوز تقبل أخاها بحرارة ودموع الفرح تترقرق في عينيها، كما التفَّ جمهور الأهل والأحبة يحدق بابنهم البار العائد من الموت وعقولهم تكاد لا تصدق ما تراه عيونهم لولا وقوفه أمامهم منتصباً بلحمه ودمه...

في غمرة انشغال الجميع بالعائد المولود من جديد بين ظهرانيهم انسلَّ حمدان إلى ظهر مطيته وأسرع مبتعداً قبل أن يبدأ تحقيق الأمير معه عن مغامرته الجريئة وأهله

وعشيرته التي كان بينها وبين عشيرة فوز ثارات وقتلى ومعارك دامية. أما الأميرة فوز التي انشغلت باستقبال أخيها المنيع وغشت على عيونها دموع الفرح كان قلبها يدق هنا قبل يومين خافقاً متوجساً، أصبح الآن يدق بنفس المكان عاشقاً متلهفاً، ولما انتبهت فجأة ولم تجد لحمدانها أثر بين الجموع أسرعت تُنشد وتسأل عنه في كل زاوية ومكان قريب حتى قيل لها أنه اعتلى مطيته ومضى مسرعاً يستحث السير باتجاه نجم القطب، وفوراً أدركت الطريق إلى رفاقه وعشيرته، فأرسلت ركباً من الفرسان يتعقبونه على جناح السرعة ليعيدونه إليها بأي شكل.

وما هي إلا ساعات وقلبها يسرع بدقاته ويغلي ويفور حتى عاد الركب وبمقدمته الأمير حمدان الذي استُقبل من قبل العشيرة استقبال الفاتحين، وأقيمت حفلات الابتهاج والسرور وولائم التكريم على شرف الفارس المنقذ مع أنه من أعداء العشيرة وتنازل والد فوز أمير عشيرة الرمضان عن الثارات وطلب من حمدان المصالحة فوراً مع عشيرته بأي شروط يرغبون فيها فوافق فوراً ثم عُقدت رايات الصلح بن العشيرتين وطلب حمدان يد فوز من والدها وعشيرتها لتكون رفيقة حياته زوجاً له على سنة الله ورسوله فكان له ما أراد وعاش الجميع باللذة والنعيم تدغدغ أحلامهم حياة الغزوات والمخاطر والأعراف البدوية العشائرية وذكاء الإنسان والحب والمغامرة...

السويداء ٩/ آذار /١٩٩٦

حسن

ـ الباب الثالث

فارس من البادية

خلف الأذن[1]

لقد اخترت هذا الموضوع في محطة أدب البادية للأمور الآتية:

١- للتعريف بالبادية وأهم القبائل العربية المعروفة فيها في الحقبة القريبة الماضية.

٢- للمقابلة بين الشعر والحياة في البادية الصحراوية والبوادي السورية وجبل العرب المجاور.

٣- وقد اخترت شخصية خلف الأذن للعلاقة الحميمة بينه وبين فرسان وأهالي قرية أم الرمان بصورة خاصة.

خلف الأذن[2]

هو الفارس الصنديد، والشاعر المجيد، خلف الزيد الأذن الشعلان، من عائلة الشعلان الكبيرة، رؤساء قبيلة الرولة المشهورة من عنزة، هذه العائلة تنقسم إلى أربعة أفخاذ، آل نائف والرئاسة متسلسلة فيهم إلى الآن، وآل مشهور، وآل مجول، وآل زيد الذين منهم خلف الأذن، وعائلة الشعلان مشهورة بين القبائل، وقد برز منهم عدد من الأبطال، كانوا مضرباً للأمثال بالشجاعة، وقد قال شاعر شمر بصري الوضيحي متحدياً معرضاً، هذه الأبيات وذكر فيها مجولا والدريعي، مجول جد آل مجول، والدريعي جد آل مشهور، والأبيات كما يلي:

---

(١) لقب بخلف الأذن لأن كل أذن من أذنيه كانت كبيرة ومشحمة.

(٢) هذا التعريف عن خلف الأذن ملخص عن كتاب أبطال من الصحراء للمؤلف محمد بن أحمد السديري.

أبــا اتمنـــى كـــانهي بالتمـــاني   صـــفرا صـــهاة اللـــون قبّـــا طليعـــي

أبــي ليــا لحــق الطلــب لــه غــواني   والخيــل معهــا (مجــول) و(الــدريعي)

قــدّام شمّــر مثــل زمــل الــصخاني   اللـــي يخلـــون المخـــالف يطيعـــي

وقد قيل في آل شعلان أشعار كثيرة، ولهم تاريخ حافل بالبطولات والكرم الفياض.

ونرجع إلى الشيخ خلف الأذن، فالمذكور عاصر ثلاثة من أبناء عمه آل نائف، الذين فيهم الرئاسة، وهم صطام الحمد، وفهد الهزاع، والنوري الهزاع، وقبل هؤلاء المشايخ، وفي مطلع، شبابه كان قد أدرك آخر حياة الشيخ فيصل بن نائف الشعلان شيخ قبيلة الرولة، وغزا معه مرة واحدة، قتل فيها الشيخ العواجي، وكان هؤلاء المشائخ لم ينسجم معهم خلف الأذن، ودائماً والخلافات قائمة بينهم، والسبب لذلك هو شخصية خلف الفذة، وطموحه وشجاعته، فأبناء عمه الرؤساء يأمرون أحياناً بأوامر لا يستسيغها، ويرفضها، ولذلك فهم يحقدون عليه، وليس باستطاعتهم أن ينفذوا أوامرهم عليه بالقوة، لأنه لا يمكن أن يتجرأ عليه أحد، ثابت الجنان، وشجاع فذ، وصارم فتاك، ويلتف حوله أبناء عمه آل زيد، وكلهم أبطال، ومن ناحية أخرى، فهم يحترمونه لهذه الخصال التي ذكرناها، ويذخرونه للملمَّات، لأنه برز بشجاعة، وتفوق بفروسيته، وجندل من اعدائه عدداً كبيراً، وكان لا يقتل إلا الفارس الذي له شهرة، وقد ذكر الرواة أن عدد الشيوخ الذين قتلهم خلف الأذن بحومة الوغى تسعة شيوخ هم:

١ ـ الشيخ تركي بن مهيد من الفدعان.

٢ ـ الشيخ شلاش بن بخيت من الفايز من بني صخر.

٣ ـ الشيخ الجنق شيخ قبيلة السردية.

٤ ـ الشيخ مناور من شيوخ بني صخر.

٥ ـ الشيخ طه من شيوخ بني صخر.



خلف الأذن

كما تخيّله ـ محمد بن أحمد السديري ـ

٦ ـ الشيخ سطعان بن زيد من شيوخ بني صخر.

٧ ـ الشيخ درسي من الزين.

٨ ـ الشيخ العواجي.

٩ ـ شيخ من آل الهذّال.

وبعد أن قتل هؤلاء المشائخ سمي بأبي الشيوخ، أي قاتل الشيوخ، ولا زال معروفاً بنجد بهذا الاسم، فإذا قيل الشيخ خلف الأذن، أضافوا إليه أبا الشيوخ.

وفي آخر أيام خلف الأذن ذهب إلى الأمير سعود بن عبد العزيز بن رشيد أمير حائل ليزوره، ويتعرف به، وكان سعود بن رشيد حديث السن، وكل الأمور بحايل يديرها الأمير زامل بن سبهان المعروف، وقد أكرم آل رشيد خلف الأذن الشعلان، اكراماً جيداً، وصدفةً جاء شاعر من إحدى القبائل زائراً لابن رشيد، وعندما كان ابن رشيد في مجلسه، وعنده زامل السبهان، وكان خلف الأذن بين الجالسين، وكان الشاعر الذي جاء لابن رشيد أيضاً جالساً معهم، وكان زامل السبهان هو كل شيء لابن رشيد، وهو الذي يتكلم بالمجلس، التفت زامل السبهان إلى خلف الأذن، وقال: نحب أن تساجل هذا الشاعر، لنعرف مقدرتك يا بن شعلان بالشعر، فغضب خلف الأذن، واعتبر هذه إهانة له من زامل، لأنه يرى نفسه أكبر وأرفع من أن يساجل شاعراً في مجلس ابن رشيد، خاصة وأن هذا الشاعر ليس بمستواه، فقام من المجلس، وأرسل هذه القصيدة لزامل يهجوه فيها، ويطلب إحضار هجينه ليسافر إلى بلاده وقومه بالشمال. وقد حاول ابن رشيد كثيراً أن يسترضي خلف، ولكنه رفض وأصر، والقصيدة كما يلي:

زَامِـــل يِنـــشِّدْنِي وأنـــا وِيْـــنْ وِيْنِـــيْ

هَبَيْـــتْ يَـــا هـــرْجٍ بْلَيَّـــا لِبَاقَـــهْ

الـــشِّيْن شِـــيْن ومـــاكَر الـــشِّيْنْ شَـــيني

عـــدُوّ جـــدٍّ، ولاّبِقَلْبــكْ، صِـــداقَهْ

(أو عدو جدَّك ما يودَّك صداقة)

الله يخُونَـــــكْ كَـــانْ مـــا تــــشتهيني
لــــو تَحَكِـــيْ لِـــيْ بـــالعِلُوْمِ الدّقَاقَـــــهْ

غَــــدِيْت مثـــــل مْعايـــــدِ القَــــرْيتيني
لا جبْـــــت خِيْـــــر ولا تبْعَـــــتَ الرّفَاقـــــهْ

أنـــــا بلايــــهْ مِــــنْ صِــــديقٍ بْطـــــيني
بقْعَـــا تــــصَفِّقْني علـــى غيْـــر فَاقَـــه

فِنْجَـــالْ طِـــيْنْ ولا أنـــت فِنْجَـــالْ صِـــيْنيْ
تَبْـــركْ مبَارِيْـــكَ الْجِمَـــلْ وأنـــتَ نَاقـــهْ

إرْخِـــصْ لنَــا وارْسِـــلْ لِـــسَمْحَةُ تِجـــينيْ
اعْتَـــاقْ عَبْـــدٍ مِـــشْتَهيْنِنْ فْرَاقـــهْ

وبعد مدة غير طويلة كان خلف الأذن نازلاً في أطراف الحرة التي بين الحماد وادي السرحان، وعندما كان نائماً في بيته هاجمهم غزاة من قبيلة شمر، في منتصف الليل، وقبل أن يُعلموا، أطلقوا عدداً من العيارات النارية على خلف، في فراشه داخل بيته، فَقُتل هو وزوجته وهما نائمان، وكان مريضاً وقد طَعَنَ بالسن. وهكذا انطوت صفحة (أبا الشيوخ)، الفارس المغوار خلف الأذن، وكان هذا في النصف الأول من القرن الرابع عشره[1] وكان خلف الأذن رحمه الله مشهوراً بالكرم، وحسن الضيافة، وإكرام الجار.

أما عائلته الزيد فهي مشهورة بالكرم وإعزاز الضيف والجار ويرى بعض أمراء البادية أن نهاية حياة خلف تشبه نهاية حياة الشاعر الكبير أبو الطيب المتنبي، والمكان الذي قُتل فيه خلف الأذن قريب من الموقع الذي قُتل فيه المتنبي وفي مقتليهما نوع من التشابه إلا أن خلف الأذن يمتاز عن المتنبي بالشجاعة والإقدام.

---

(١) منتصف القرن الرابع عشر هجري أي سنة ١٣٥٠ هـ.

وفي أحدى الغزوات التي كان يرافق فيها خلف الأذن فرسان بني معروف انكسرت رجله وانتقل جريحاً إلى قرية عنز في الجبل إلى بيت الشيخ حسين الأطرش الذي أحسن ضيافته وتمريضه حتى أستأذن أهالي أم الرمان حسين الأطرش فوافق على نقله إلى أم الرمان... فشدوا له حصرة ونقلوه على الأكتاف من عنز إلى أم الرمان. حيث نصبوا له بيتاً كبيراً وسط القرية وقرروا استقبال جميع ضيوف القرية في بيت الشيخ خلف، الطعام والشراب وكل ما يلزم يقدمه الأهالي يومياً لضيف القرية الكبير الشيخ خلف حتى شفي وعاد إلى عشيرته وخص أهالي أم الرمان وبني معروف بالقصيدة التالية:

من قصيدة "خلف الأذن" بأهل أم الرمان

يا الله ياللي تفرج الهم عمَّال — تفرج لرجلٍ غاب عنها سعدها

يا مغرج الشدات يا شايف الحال — يا عالم النفس الخفية وجدها

وجدي على الريشان[1] وسَّامة اللال — هيل القطاع اللي تدوجن قصدها

آني[2] خبرهم وأودعوني على جال — وأنا قصيم[3] وهان كسري بعضدها

واللي أحسنوا بي ترثة الجود وأفضال — شدُّو لي حصرة[4] وانهضوا بعمدها

من عنز فوق كتوف ماضين الأفعال — لأم الرمان اللي سريعاً نجدها

يمر عليها ويجعل الوبل شلال — يا الله تروي غراسها مع جلدها

---

(١) الريشان: قبيلة الشاعر.

(٢) آني: أنتظر

(٣) قصيم: مكسور

(٤) حصرة: رحالة لنقل المريض

يـا علـها مـع طـول الأيـام بغـلال والقريـة اللـي عـز كـل مـن قـصدها

أنـا لهـا ممنـون عَ كـل الأحـوال يـا الله تحميهـا وتكثـر عـددها

دورت بالـدنيا مـع سـهول وجبـال بالـدنيا ا ظـن مثلـه وبعـدها

ربعـاً هـل الطـولات مواجـه الـلال الكـل مـنهم عالكرامـة بجـدها

صـار لـي هلالـين وأنـا اليـوم بهـلال والـنفس مـا سمعـت كلامـاً لهـدها

مـن دار أبـو دنيـا لمقعـد هـلال ولا واحـد عنـده ذخـيرة وجحـدها

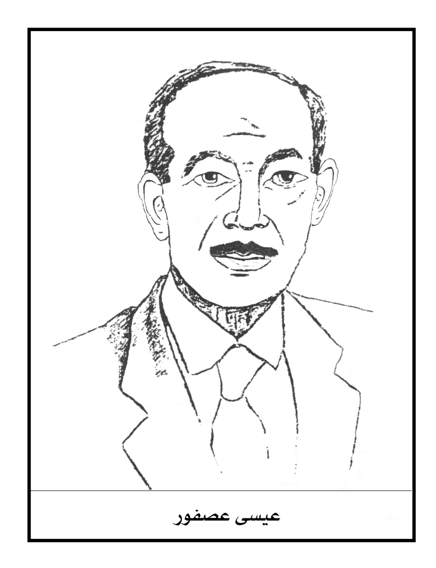
يجيبون لي المأكول من كل الأشكال مـن الـدر والإيـدام واللـي يجـدها

يـالله يـا اللـي عالمخـاليق متعـال صـربة بـني معـروف تظهـر سـعدها

الفصل الثالث

شعراء وقصائد

١. عيسى عصفور


عيسى عصفور

الأستاذ والقاضي والشاعر. وُلد في مطلع العقد الثالث من القرن الماضي في بلدة الجهاد والنضال الوطني أم الرمان ـ تميز بالنباهة والذكاء منذ طفولته وشغف بالعربية لغة وأدبا فحفظ وعلم ونظم شعراً واتقن الفرنسية وترجم فقد كان مدرسة بل أكاديمية في العلم والنضال والكفاح والمثابرة، أحب الوطن وتقديس العروبة، وكل ما حوته القواميس من معاني الرجولة والقيم السامية والفضائل....

عرفته معلماً في السنة الأولى بعد الإبتدائي في ثانوية السويداء الوحيدة ١٩٤٨ وكان يدرسنا العربية والجبر ـ والهندسة ـ والموسيقا ـ وأول قصيدة من شعره سمعتها منه في حفل توزيع الجوائز أواخر العام الدراسي (١٩٤٨ ـ ١٩٤٩) قصيدة قرع الجرس التي يقول فيها:

كم مهجةٍ في القدس داميةٍ، وكم ستر يشق

وبنو العروبة كالضفادع في مخابئها تنق

وما احوجنا لتكرار هذه الأقوال حتى الآن

وهذه بعض قصائده

أحب الاستاذ عيسى عصفور اللغة العربية فحفظ الكثير من الشعر والنثر وعجم عود اللغة بمفرداتها وتعابيرها التي جرت على لسانه أدباً رفيعاً، وكأني بالشاعر حليم دموس يخاطبه عندما قال للمتنبي:

أقبلت على الفصحى فحيتك حورها وخـــضت قوافيهـــا فـــدانت بحورهـــا

فهذا هو يجيد النثر ويبدع الشعر فيحلق عالياً بكل ما قال، وكتب بالشعر الفصيح أجاد الوصف والرثاء، بالشعر النبطي أغنى اللغة العربية بمفردات وتعابير جذلة بدوية أصيلة كأنها من قلب الصحراء ففي قصيدته إلى العميد نايف العطواني بعدما ذهب إلى الحج يقول:

نـايف علامـك مـا استهديت بـالحرم ورجعـــت ع دروب الخطايـــا تـــسير

دريـــك بطولـــه ع المـــداهيج والرمـــل مـا شـفت ع وجهـك بـصيص الخـير

ـ "القصيدة وردت بكتابي قبسات رقم ـ ٢ ـ" ويختمها بقوله:

يـــا ســـربة الريّـــان يـــا عـــزوة الـــونس مـــا ظـــن مقـــصوص الجنـــاح يطـــير

حيـــاكم الله مـــن ذرى الـــدور لملـــح ومـــا غيركـــم شـــيالها مـــا غـــير

يقول الأستاذ رضوان كان الاستاذ عيسى في أواخر أيامه يحن كثيراً إلى الجبل ويأتي إلى السويداء كلما سنحت له الفرصة لزيارة الأصدقاء ورفاق العمر. ولم يكن عنده أغلى من القدوم إلى الجبل وقد وصل لعندي في إحدى المرات وكان مرتبكاً قلقاً فقال لي: (لقد حلمت أنني مع العميد نايف العطواني أقول له هذا البيت):

خـــايف ومـــا كنـــت بزمـــاني خـــايف دهـــري فتـــل كيـــف العمـــل يـــا نـــايف

(هيا بنا إلى العميد نايف)

وبعد قليل من الراحة ذهبنا إلى بيت العميد نايف العطواني فلم نجده في البيت لأنه كان عند السيد محمود المصفي فذهبنا إليهما إلى بيت السيد المصفي فسلمنا وتحدثنا وضحكنا وذكر عيسى حلمه مع العميد نايف فطلب الجميع من عيسى أن يكمل هذه القصيدة ووعدنا أن تكون جاهزة عند قدومه إلى السويداء في الأسبوع القادم، وبعد أسبوع جاء الأستاذ عيسى ليقول هيا إلى العميد نايف العطواني نقرأ له القصيدة كاملة وقد قرأها بهدوء بيتاً بيتاً وعيوني تسكب الدموع بسخاء وعندما

انتهى اجبته:

لقد كان حدسك في الحلم بمكانه لقد توفي بالأمس.... ! فهيا بنا نؤجر عائلته في البيت... وكان الموقف المحزن وكانت هذه القصيدة.

خايف

إلى الأخ العميد نايف العطواني

خايف وما كنت بزماني خايف   دهري فتل كيف العمل يا نايف

قلبي انكوى بنار الجوى وضيم النوى   وعمري لوى واشوف زرعي هايف

خايف من الستين كشر نابها   والنفس ماتدري غداً وش نابها

خطو الولد راعي البصيرة النابها   عيونو على عشرة وما هو شايف

خايف من اللي رفقتو معتلّه   الصاحب اللي لو تقودوا تلا

خايف على القليب يغدي تله   من عقب ما هو عالنوابي نايف

خايف عليكم يا رفاق الطولا   تغدوا شظايا ومالكم من طولا

وانتوا على مر الزمان وطولا   هيل المروّة معدّيين الخايف

حمر البيارق والسيوف رعافى   شيّالة الضيم الدخيل العافي

الديرى المانتوا بها تنعافى   لو أنها جنه عدن والطايف

١٩٨٢

في الطريق إلى خلخلة

إبـــني إلـــو شـــهرين غايـــب مغـــترب وقلـــبي علـــى فرقـــاه عـــم يغلـــي غلـــي
وســـألت نفـــسي ويـــن عزمـــات الـــشباب ويـــن الـــصبر يـــا فـــلان ويـــن المرجلـــي
لا بـــد ربـــك مـــا يفـــرج هـــال همـــوم ولا بـــد عـــسرات الـــشديد تنجلـــي
ســـاعة وإلا زالـــت غيـــوم الـــسواد بهـــاتف أبـــو صـــايۓ الكـــريم المفـــضلي
ربعـــك بـــني معـــروف ۓ سهرة قـــصيد بانظـــارهم بتحـــل أكـــبر مـــشكلي
وحـــسبت إن الأرض دارت دورتـــين ومـــا شـــفت حـــالي غـــير نـــاحر خلخلـــي

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

الخميس ١٩٨٨

ديرتي

يـــا ديرتـــي وجـــه البـــشوش تـــضحك لنـــا بـــسنونها

"المجاهد صياح الأطرش"

أكملت فأصبحت كما يلي:

يـــا ديرتـــي وجـــه البـــشوش　　تـــــضحك لنـــــا بـــــسنونها

لعـــــين ســـــورية نهـــــوش　　حنـــــا نعـــــدّي ركونهـــــا

بالمزرعــــــة خـــــيلاً تـــــروش　　وســـــباع فـــــوق متونهـــــا

ضـــرب المـــوازر مـــا يطـــوش　　والحـــــرب جـــــن جنونهـــــا

ســـــلطان للعـــــسكر يحـــــوش　　بالـــــسيف دك حـــــصونها

مخيم الكشف في قطنا صيف ١٩٤٧

زحوف المجد

يـــا زحـــوف المجـــد في آذارنـــا　　يـــا لهيبـــاً مـــن لظـــى ثوارنـــا

بوركـــت فيـــك البطـــولات الـــتي　　هـــزت الراقـــد مـــن تـــذكارنا

فتنـــــزَّت في حمانـــــا نخـــــوة　　تعـــــبر الماضـــــي إلى ذي قارنـــــا

رافـــــدانا انـــــسكبا في بـــــردى　　وتمـــــشى النيـــــل في أوتارنـــــا

وخلتهـــا خفقـــة مـــن دمنـــا　　ورعاهـــا الـــصيد مـــن أحرارنـــا

فـــاعجبي مـــا شـــئت يـــا دنيـــا فـــذي　　فرحـــة الـــصبح علـــى قيثارنـــا

وانثـــري الطيـــب عليهـــا واسمعـــي	حمحمــــــات الخيـــــل ع قيثارنــــــا
ودعــــــي الأفــــــلاك ـفي نــــــشوتها	إنهــــــا تهتــــــز مــــــن تزآرنــــــا
نحــــن أطلعنــــا هــــدانا فــــالورى	عــــابق بالفــــذ مــــن أخبارنــــا
والـــــضلالات الــــتي ـفي دربنــــا	لفهــــا الجبــــار مــــن إعــــصارنا
والـــــشعوبيات ـفي منعتهــــــا	ســــقطت صــــرعاً علــــى أســــوارنا
والعــــلا مــــدت إلينــــا ســــبباً	فــــــــشددناها إلى تيارنــــــــا
ومــــشى التــــاريخ تيــــاه الخطــــا	وعلــــى مفرقــــه مــــن غارنــــا
لم نكــــــن ـفي الأرض إلا ســــــادةً	يــــورق المجــــد علــــى آثارنــــا
ولنــــا ـفي القــدس حــق كالــضحى	مــــاثلاً مــــا غــــاب عــــن أنظارنــــا
ولنــــا حطــــين أخــــرى فوقهــــا	تمحــــي فيهــــا بقايــــا عارنــــا
لــــن ينــــام الثــــأر إلا أن نــــرى	مــــصرع البغــــي الــــذي ـفي دارنــــا
وغــــــداً نبعثهــــــا شــــــاملة	تجمــــع الــــشارد مــــن أقطارنــــا
الهــــدى ـفي راحتيهــــا والنــــدى	وشــــذاها الــــسمح ـفي آثارنــــا
ولهــــا قلبــــان نجــــوى يثــــرب	ويــــد الثــــامن مــــن آذارنــــا

في وداع رفات عبد القادر الجزائري

حـــث الخطـــا فالـــشامتون زحـــام	والفجــــر لفـــح جانبيـــه قتـــام
وعلـــى جبـــاه مـــشيعيك كآبـــة	أتمـــــرد فيهـــــا أم استـــــسلام
هنئـــت في ركـــب العـــلا مـــن راحـــل	عـــن مـــوطن فيـــه الكـــرام تـــسام
إن البطولـــة أن صـــبرت علـــى الأذى	في أرضـــنا دهـــراً وأنـــت تـــضام
وأقمـــت في قاســـيون مـــشبوب المنـــى	أيـــام ســـكنى قاســـيون ذمـــام
كـــم داعبتـــك مـــع الأصـــيل نـــسائم	بـــيض، وكحَّـــل مقلتيـــك غمـــام
أيـــام كانـــت للعروبـــة نخـــوة	والقـــوم لا هجـــن ولا أقـــزام
الـــضاد خفقـــة قلـــبهم ولـــسانهم	وحـــسامهم في النائبـــات حـــسام
ورحلـــت عـــن مغنـــاه وهـــو معفـــر	مـــا فيـــه إنجيـــل ولا اســـلام
لهفـــي علـــى قاســـيون بعـــدك هـــل لـــه	مـــن مجـــده إلا حـــصى ورغـــام؟
لـــولا ظـــلال مـــن ثـــواك نديـــة	مـــا كـــان للـــسفح الكئيـــب وســـام
حتـــام تحيـــا في المكـــاره أمـــتي	ويلفهـــا عـــبر الظـــلام ظـــلام
لا جـــذوة الـــصحراء في أعرافهـــا	وتقطعـــت مـــن بينهـــا الأرحـــام
وحماتهـــا نهـــب الـــضغينة والهـــوى	عَبـــثَ الثعالـــبُ بـــالعرين، ونـــاموا

والبعـث مـشلول الجـوارح والـرؤى   مغلولـة، والمكرمـات حطـام

قـادوه للخلـق الهجـين فـدأبهم   وأدُ النـضال وبـزهم آثـام

يـا سـيد الأبطـال عفـوك، أيـن لـي   أن يمـسح الجـرح الرغيـب كـلام

آمنـت بالحقـد الكـريم مطهـراً   أرضـي فـلا رجـس ولا أزلام

لـي مـن مـآثر أمـتي وعـروبتي   قـبسٌ علـى شـفة الأمـير ينـام

عـد للجزائـر يـا أمـير فجلـق   لم يبـق في أوتارهـا أنغـام

هانـت علـى الجيـل الجديـد وأجدبت   فيهـا الحيـاة ومُـرِّغ الإلهـام

وعلـى قلـوب المـؤمنين غمامـة   وعلـى لـسان المخلـصين لجـام

ومـروءة الـسلف العظـيم ذبيحـة   رقـصت علـى أشـلائها الأصـنام

ليـست أميـة في العـرين وإنمـا   رهـط المـوالي سـادة أعـلام

أوراس أمنـع يـا أمـير، وحبـذا   مثـوى علـى جنباتـه ومقـام

كلـت وأرقهـا الطغـاة فلـم تعـد   تقـوى علـى حمـل الرفـات الـشام

يـا راحـلاً عنـا وفي أكبادنـا   جـرح، وهـل لجراحنـا أيـلام

حطـم صـفيح القـبر واهتـف بـالالى   ربعـوا علـى خـذلانهم وأقـاموا

لا الأهـل أهلـي مـا تمـزق مـوطني   في مـشرقيه ولا الـسلام سـلام

١٩٦٦

٢ . فارس الميدان

في رثاء المرحوم مجّلي البربور

وشاء الله أن يولد في الثورة الأولى، وأن يستشهد والده في الثورة الكبرى، وأن يلقى وجه ربه في يوم ذكرى شهداء ٢٩ أيار فهو سليل الشهادة والمجد من المهد إلى اللحد.

لا، لم يمــت، إنــه الأخـــلاق والــشيم ... أمــضى مــن المـوت بأســاً هــذه القــيم
هـــذا الـــتراب عـــبير مـــن شمائلـــه ... معطـــر مـــن شـــذاه الـــسهل والأكـــم
أخـــي، وبـــي غــصة، والمـــوت في بـــدني ... لـــه دبيـــب، وقـــد ألـــوى بـــه الـــسقم
قلـبي كـسير، وطـرفي خاشـع، ويـدي ... مغلولـــة دون جـــرح لـــيس يلتـــئم
ذكـرتني موكـب الأحـرار مـن وطـني ... شــاب الزمــان، ومــا شــابت لهــم همــم
أجلـوا عـن الـوطن المحبـوب غاصبـه ... خـــير الـــشهادة مـــا تجلـــى بـــه الظلـــم
دمـــاؤهم في دجـــى تاريخنـــا ألـــق ... هيهـــات يقـــوى علـــى إخمـــاده العـــدم
حييـت يـا جبـل الريـان مـن جبـل ... أبـــو الجبـــال شـــباب مـــا لـــه هـــرم
يـــا واســـع الـــدار والأيـــام عابـــسة ... يـــا مـــن تمـــر بـــه البلـــوى فيبتـــسم
أنـــت المجلـــي وللميـــدان فارســـه ... يرخـــي العنـــان إذا مـــا شـــلت اللجـــم
كنـت العظـيم علـى الآلام تجرعهـا ... إن الكـــرام إذا أشـــتلت بهـــم عظمـــوا

كنــت الأمــين علــى الرايــات ترفعهــا مجـــداً، فأنـــت لهـــا درع ومعتـــصم
وكنـــت رائـــدنا، تهـــدي مـــسالكنا عنـــد العثـــار إذا زلـــت بنـــا القـــدم
لـــئن تواريـــت عـــن أبـــصارنا فلنـــا في كـــل حبـــة تـــرب مـــن ثـــراك دم
وإن ســـكت فــــإن الأرض ناطقـــة بمنتـــداك، لـــسان مفـــصح وفـــم
يا حامل النعش وليس النعش من خشب رفقـــاً بـــه، إنـــه العليـــاء والكـــرم
سـيف علـى البغـي لم تغلـل مـضاربه وســـيرة بعـــضها الإيمـــان والـــشمم
هـل في صـدور محبيـه سـوى مـزق مـــن القلـــوب تـــولى ذبحهـــا الألم
فتـــى المـــروءة في الجلَّـــى وعدتـــه قلـــب كـــبير وكـــف دونهـــا الـــديم
فـــرع الميـــامين مـــن طابـــت أرومـــتهم تفنـــى الحيـــاة ومـــا تفنـــى لهـــم ذمـــم
مناقـــب مـــن بـــني معـــروف خالـــدة عـــزت بـــه واســـتطالت، إنهـــا قمـــم
الـــساكن، القـــبرُ حـــيٌّ في جوارحنـــا وأنـــت يـــا قـــبرُ في ظلمتنـــا علـــم

٢٩ أيار ١٩٧٨

أخي

في رثاء المرحوم حسين الحجلي

أخـي مـا رثـائي والجنـانُ سـليبُ وصـحبُكَ حـولي لوعـةٌ ونحيـبُ

وطيف المنايا السود ملءً محاجري ودمعي على القبر الطهور صبيبُ

ولما نعاك البرق أدركتُ ما البكا وأيقنت أن النيرّات تغيبُ

قسوت علينا في رحيلك يا أخي حنانيك، في هذه الصدور قلوبُ

ولما تلقاك الثرى وهو نائم تحرَّك منه عاطر وقشيبُ

وما كنتَ أدري كيف يُغمد صارم ولا كيف يُطوى في التراب نجيبُ

سكنت، ولم تسكن لظاك ولم يزل على الدهر جرح من لظاك رغيبُ

وفي الشام أنَّاتْ وفي الأرز غصة وللموت في سفح القليب . دبيبُ .

فكأسك يا خير المحبين مُرةٌ ويومُك يا زين الشباب كئيبُ

هل الصبح إلا بسمة منك عذبةٌ تـوارت فليلُ المدلجين رهيبُ

سألت الذُرا ما حالها بعد نسرها فالوتْ بها البلوى فليس تُجيبُ

فما أطولَ الأيامَ بعدك يا فتى وعيشٌ خلا من منتداك جديبُ

عدوان، داءٌ لا يرام شفاؤه ودهر بألوان الشقاء حريبُ

وتذوي وما يذوي نضالُك والرؤى وهل لمروءات الشباب نضوبُ

ومـا لنـتَ والأحـداث بـأسٌ ومحنـةٌ   ومـا أنـت والـدنيا أذى وخطـوبُ

وتمـضي إلى حمـل الرسـالة باسمـاً   ومـا بـك مـن عـبء الجهـاد لغـوبُ

أبـاءٌ، ونفـس لا تـضام، ونخـوة   ووجـه إلى كـل القلـوب حبيـبُ

وفي كـل صـوبٍ مـن شـذاك شمائـل   وفي كـل فـج مـن نـداك دروبُ

عـبير الـضحايا والـشهادة أرضُـنا   ومـا أنـت عـن هـذا العـبير غريـبُ

أراهـا ازدهـت لمـا توسـدت خـدّها   فكـل ثراهـا مـن ثـراك طيـوبُ

أبـا نـايف كيـف ارتـضيت وداعنـا   وفارقتنـا حـين الزمـان عـصيبُ

فقـدناك لمـا مزقـتْ شمـلَ يعـربٍ   ريـاحٌ لهـا في المـشرقين هبـوبُ

وغُيبْـتَ واليرمـوك ثـأرٌ وغـضبة   وحـشرجة في صـدورنا ولهيـبُ

وفي مهجـةِ القـدس الحـزين رصاصـة   وفي جبهـة المجـد العريـق نـدوبُ

اتبكـي مـسامير المـسيح اسـتغاثةٌ   ومـا لجـرح المـستغيث طبيـبُ؟

وتعلـو تـرانيم المـزامير صـرختي   ومـلءُ صـدور العـابثين نغيـبُ

مـلاهِ لأحفـاد الـسبايا ديارنـا   وفي سـيفنا صـمتْ أصـمْ عجيـبُ

وكـم رفعـت فـوق الـضحايا منـابرٌ   وقـام علـى أشـلائهن خطيـبُ

ومـا لثمـت غـير الهـوان شـفاهُنا   ومـا صُـبحنا إلا دجـى وغـروبُ

إذا الوحـدة الكبرى تراخـت وصـوّحت   وراح الهـوى يخبـو بنـا ويخيـبُ

ولم تنعقــد حطــين فــوق جباهنــا   فــأي مقـــام بعـــد ذاك يطيـــبُ؟

أبـا نـايف كانـت لنـا فيـك قـدوةٌ   عـــزائم شـــمٌّ مـــا لهـــن مَـــشيبُ

وكم عـاذل أرخـى علـى الـذل ستره   يلـــوم علينـــا بأســـنا ويعيـــبُ

دع البـــومَ في عميائـــه يـــشتم العـــلا   ألـــيس لـــه في الـــشائنات نـــصيبُ؟

وهـــل يُقلـــق العليـــاء في عنفوانهـــا   إذا قيـــل إن المكرمـــات عيـــوبُ

رســالتك الــسمحاء فينــا، ودوونهــا   أظـــافر منـــا صـــلبة ونيـــوبُ

تحــدَّيت بــالموت القيــود فحُطمــتْ   فأنـــت هـــلالٌ بيننـــا وصـــليب

وأشــرقت فينــا رائــداً مــا فــؤاده   جبـــان ومـــا في مقلتيـــه شـــحوبُ

وتنــصتُ دنيانــا وينتظــر الــضحى   ونلقـــاك في ركـــب الخلـــود تـــؤوبُ

أبـــا نـــايف حتـــى يحـــينَ لقاؤنـــا   شـــعارك مرفـــوع وأنـــت قريـــبُ

كانون أول ١٩٦٨

رسالة.... إلى الأخ صالح أبو الحسن

رفقـــاً بنفـــسك أيهـــا المخلـــوق   تـــسعى ومـــا أنـــت الفتـــى المـــرزوقُ

هـــل صـــرت ذا قـــصر وذا ســـيارة   والعـــيش بينهمـــا لمـــا ورحيـــقُ

أم ضـــاع مفتـــاح الخزانـــة قبلمـــا   تحـــصي النقـــود وحُطِّـــم الـــصندوق

لم لا تــزال كمــا عرفتــك هائمــاً عــبر الــشوارع تحتويــك الــسوق

أمّــا أنــا كمــا عهــدت وصــحبتي طبــــلٌ يقــــرع في الهــــواء وبــــوقُ

الطقــم دَيْــنٌ والقمــيص مهلــهل والبيــــت رث والحــــذاء عتيــــقُ

والــــدائنون إلى حمايــــا قوافــــل أمّــــا الطعــــامُ فبرغــــلٌ مــــسلوقُ

شــأني كــشأنك راتبــاً وشــقاوةً ويقــــال عــــني حــــاكم مرمــــوقُ

متربـــع في قوســـه، متكـــبرٌ متــــصنع فكأنــــه البطريــــقُ

عجبــاً أيقــضي في الأنــام مــرزًّا أم تُنــــال علــــى يديــــه حقــــوق

حــولي ســلامة لا يــزال معلمــاً وجميــــل في ســــكني القــــصور يجــــوقُ

منــصور تفتنــه الــسياسة وهــو في مــــضمارها الــــسبَاق لا المــــسبوقُ

كيـف الـصحاب؟ أتـذكرون متيمـاً قلبــــاً يحــــن إلــــيكم وبتــــوقُ

كيـف الهـضاب الـسمر؟ إن وشـاحها مــــن مــــج يعــــرب عــــزة وسمــــوقُ

كيـف الـسهول الحمـر في أعطافهـا مــــاض خــــضيل الــــوجنتين عريــــقُ

كيف الـشعابُ الخضر غازلها النـدى والــــسحرُ فيهــــا عاشــــقٌ معــــشوقُ

روحاتنـــا، غزواتنـــا، نزهاتنـــا والقلــــب مفكــــوك الأســــار طليــــقُ

الامنيــاتُ ومــا أعــز منالهــا لــــو كــــان لــــي نحــــو القُلَيــــب طريــــقُ

سـلّم علـى الهنـدي واحـذر كيـده لا يلطــــشنك إنــــه حربــــوقُ

وأبــو ريــاض في شــباب مــشيبه زاهٍ بجلبــاب الوقــار أنيــقُ
وابـن الجغـامي حـين يـبرز للـضحى يغــري الطبيعــة قــده المــشوق
وأخــي صــلاح باحــث متبحــر بعــصاه أحــداث الزمــان يــسوق
هــل لابــن كربــاج عــروس حلــوة عنــد المــساء والــسندويش رقيــق
وأرى ابــن شــيّا خاويــاً متقاعــداً وشــعاره التنكيــت والتلفيــق
هنــأت أســرابَ الدجاجــة بــصرفه مــا في التقاعــد يــا ســعيد عليــقُ
وإذا أبــو فــوزي أطــال لــسانه يومــاً علــيَّ فقلبــه محــروق
أو لم أقــده للــسرايا صــاغراً عــيّ اللــسان وصــوته مخنــوقُ؟
كيــف العــشيات الــتي أحببتهــا والــسامرون بهــا أخ ورفيــق
لله عهــد للــسويداء في دمــي وفراقهــا جــرح ينــز عميــق
أجثــو لــدى محرابهــا متلــهفاً لــو كــان لليــل الطويــل شــروق

١٩٦٧

٢ ـ شاعر الزجل سليمان عبدي الأطرش

ومـن الـشعراء اللـذين أجـادو في نظـم قـصائد الفـن والمطلـوع خاصـة في الغـزل والغراميات، أمير الزجل في الجبل في تلك الفترة الشاعر سليمان عبدي الأطرش.

شاعرٌ وأديب وفنان: كانت أنغام شعره تحرك أوتار القلوب ـ كما كانت أنامله

تحرك أوتار الربابة والكمان.... سرعان ما كانت قصائده تنتشر بين الناس ترددً غناءً في حلقات الرقص الشعبي أو تجويداً مع أنغام الشبابة والمجوز والربابة.... وما أكثر الذين كانوا مبهورين بشعره وصوته وموسيقا ربابته أو الكمان التي يعزف عليها... وكانت أكثر قصائده وليدة نشوة عابرة تبعثها في نفسه ابتسامة غاوية أو نظرات حورية تميد تيهاً ودلالاً.....

تميز شعره بأغاني الحب والجمال التي كانت تتعدى التقاليد الصارمة العجفاء وتستقبل الحياة ببسمات مشرقة تشع بالحب والعاطفة والغرام... وقد تميز كذلك بولوج أبواب جديدة موضوعية مثل باب التبغيات...

فوق موج الراديو[1]

إن كـــان عنـــدك مثـــل مـــا عنـــدي غـــرام
طـــاب كيفـــي في حيـــاتي يـــا ســـلام

كنـــت بعمـــل منـــزل فـــوق النجـــوم
وكنـــت بتمـــشّى علـــى ظهـــر الغمـــام

كنـــت بتمـــشّى وبعمـــل منزلـــي
فـــوق ظهـــر ســـهيل يبقـــى معتلـــي

ودوم غنّـــي ميجنـــا وهويـــدلي
وشـــوف كـــل الكـــون ضـــحك وابتـــسام

وشـــوف كـــل الكـــون أزهـــار وربيـــع
والليـــالي البـــيضْ والعـــزّ البـــديع

(١) قصائد الشاعر هنا وفي باب التبغيات من ديوانه: أفديها بالشمس والقمر.

وبجلــس ععــرش مـــن الخيـــال عـــالي ورفيـــع

فـــــوق مـــــوج الراديـــــو فـــــوق الأنـــــام

فـــــوق موجـــــات الـــــسواقي والريـــــاح

تـــــسكر اربـــــاب الهـــــوى مـــــن دون راح

شـــو علـــى بـــالي بقـــى وســـيد الملاح

قـــد حـــصل لـــي وطـــاب كيفـــي والـــسلام

قـــد حـــصل لـــي وصـــار بـــيني وبيـــنهم

حـــــبّ متـــــوازن ســـــوا يـــــا زيـــــنهم

هـــم علـــى ديـــني وأنـــا عـــا ديـــنهم

يـــــا منعبـــــد ربّنـــــا يمّـــــا الـــــصنم

يـــــا منعبـــــد خـــــالق الـــــدنيا ســـــوا

يـــــا منقـــــضيها علـــــى ديـــــن الهـــــوى

يـــــا منعملـــــها عطـــــش يمّـــــا ارتـــــوا

يـــــا مناكـــــل كلّنـــــا يمّـــــا صـــــيام

يـــــا مناكـــــل كلّنـــــا يمّـــــا نجـــــوع

يـــــا منـــــسكن في قـــــصر يمّـــــا نجـــــوع

يـــــا مننـــــزل يـــــا منـــــتعلاّ طلـــــوع

يـــــا منحيـــــا اثنينـــــا يمّـــــا اعـــــدام

يـــــا منحيـــــا عالمحبّـــــة أثنينـــــا
يـــا نغمـــــض بفـــــرد تكـــــيّ عينّـــــا

اتفقنـــــــا بالأقـــــــسام وديـنّــــــا
لا جـــــــدال ولا نـــــزاع ولا خـــــــصام

عشوش فوق النجوم

اللّه علـــــى عـــــذالنا مـــــا بيقـــــبلشْ
لـــي مـــع حبـــيبي بـــسْ ســـاعة خـــشوعْ بـــوشْ

ت أصـــعد أنـــا وأيـــاه عـــا ســـابع سمـــا
ودوس بطريقـــــي عالمالـــــكْ والعـــــروشْ

ت أصـــعدْ أنـــا وأيـــاه عـــا ســـابع سمـــا
وبـــشوف كـــل الكـــون تحـــتي كمكمـــا

مـــا يعـــود في عليّـــي حـــرام ولا حمـــا
وعـــا كـــل نجمـــة في الـــسما منعمـــل عـــشوش

وعـــا كـــل نجمـــه عـــش نعمـــل للغـــرام
أهـــل الـــسما مـــا في علـــيهم شـــي حـــرام

ونجلـــس تحـــت ظـــل البنفـــسج والخـــزام
والـــورد والريحـــان حتـــى المردكـــوش

والـــورد مـــن فـــوق الـــسحاب اللـــي ســـرى
وكـــل الوجـــود يـــصير عنـــدي مـــسخرا

وتنظـــر ملائكـــة الـــسما الحـــب اشـــكرا

مـــا منـــستحي مـــنهم وهـــم مـــا بيـــسألوش

مـــا منـــستحي مـــن ايـــش بـــدنا نـــستحي

أنـــا وحبـــيبي عـــن العـــواذل منتحـــي

بـــين الـــسما والأرض صـــرت مـــشوشحي

في جـــو مـــا في هـــوش مـــا في كـــل روش

في جـــو مبعـــد عـــن عواذلنـــا فـــسيح

واسمـــع ديـــوك العـــرش مـــن حـــولي تـــصيح

ومنـــشوف ســـيدنا محمّـــد والمـــسيح

بيـــسامحو ويبـــاركوا ومـــا بيزعلـــوش

مـــا بيزعلـــوا مـــن ايـــش بـــدهم يزعلـــوا

حيـــث في حلـــو مـــن هالـــدني مـــا خـــذ خلـــو

كـــل المـــلاح المنـــصفين بيقبلـــوا

بـــس الـــذي مـــا بيفهمـــوا مـــا بيقبلـــوش

يـــا ريـــت قلبـــك بـــس قلـــبي ينعـــشو

مثـــل جـــوزة قطـــن كفـــك تنفـــشو

لـــو تـــشاوروا وتهامـــسوا وتوشوشـــوا

مـــالي أذان مـــا لـــي عيـــون تـــشوفهم

الكون كله بغيركم ما بقبلوش

ذات الأعضاء المكهربة

تعجبــت مــن حــسنا وجمالــه كيــف ربــي
وتنــــسيق أعــــضاها بأيّــــا مــــسكبي

كيــــف بــــدهم يوصــــفوها الواصــــفين
أعــضاء جــسمه كــل قطعـــة مكهربـــي

كيــــف بــــدهم يوصــــفوا شــــكله الجميــــل
شمــس مــن صــرف البهــا تــشعل شــعيل

لمّــــن خلقهـــا المبـــدع البـــاري الجليــــل
حـــضّر ملايكـــة الـــسما وميـــتين نـــبي

حـــضّر ملايكـــة الـــسما تـــا هندســـوا
قالـــب جميـــل مـــن البـــدايع اسّـــسوا

مـــــدّة طويلـــــة تـــــشاوروا وتناقـــــشوا
مـــن شـــعر رأســـه للقـــدام تـــسبي ســـبي

مـــن شـــعر رأســـه هندســـوها للأقـــدام
حتـــى غـــدت صـــيغة بديعـــة يـــا ســـلام

لـــو أن نظرهـــا قلـــب خـــالي مـــن الغـــرام
أصــــبح بحـــــالات الهــــوى يتــــصبّبي

أصـــــبح بهــــا مغـــــروم معلّــــق بــــالهوا
ولـــو كـــان عـــالي بـــس لـــو شـــافه هـــوى

كيــــف الــــذي قلبـــو ملـــوّع بـــالهوى
ومحـــــروق دمـــو بـــالغرام وهـــو صـــبي

قلـــت الـــسلام عليـــك يـــا بـــدر التمـــام
ردّ الــــــسلام باحتـــــشام واحـــــترام

قلـــت لـــو يـــا صـــاحبي فحـــوى الكــلام
محــــسوبكم بــــدّو الرضـــا ومقـــاربي

محــــسوبكم مخـــدومكم بـــدّو الرضـــا
وقلبـــو غـــدا بايـــت علـــى جمـــر الغـــضا

تبــــسّم وبـــيّن لـــي ثنايـــا مفضّـــضة
ولمـــا ابتـــسم لـــي صـــار ســـهمو صـــايبي

لمّـــــا ابتــــسم وتفتّحـــــت هالـــــشفتين
باقـــات ورد مــــن الكمـــــام مفـــــتحين

وصـــار مـــا بينـــاتهم يـــرقص لـــسان
ينثـــر ذهـــب ويـــرشّ مـــسك ويـــاسمين

كـــل شـــي بهـــالكون موجـــودي ألحـــان
مـــش مثـــل صـــوته بتنظـــر بلـــو الـــسامعين

نفحـــــة ملايكـــــة الـــــسما والكـــــيروان

أو حـــــسّ داوود الـــــنبي في لهجـــــتين

عطـــــر البنفـــــسج والمـــــسك والأقحـــــوان

مـــــش مثـــــل ريـــــح العنـــــق والتفـــــاحتين

والنهـــــد غـــــافي عاصـــــدر ريّـــــان زان

يـــــشبه طبـــــق فـــــضّة عليـــــه كـــــوزين تـــــين

قلـــــت لـــــه يـــــا روح في أيّـــــا مكـــــان

نلتقـــــي لـــــو كـــــان بـــــس دقيقـــــتين

قالـــــت مـــــا بقـــــدر حيـــــث بيِّـــــي والأخـــــوان

دايـــــم عليّـــــي مـــــراقبين وســـــاهرين

قلـــــت عنـــــدي شـــــرّفي ســـــاعة زمـــــان

بـــــستقبلك بـــــين الـــــضيوف الغـــــاليين

قالـــــت يـــــا ذلّـــــي بـــــستحي يقولـــــوا فـــــلان

جـــــايي لعنـــــدو كيـــــف حكْـــــيِ الواشـــــيين

قلـــــت لهـــــا يـــــا روح عنـــــدي قهرمـــــان

عمـــــتي العجـــــوز وســـــرها ضـــــابط دفـــــين

قالـــــت لهـــــا جـــــيران مقطوعـــــة الأرْســـــان

وعيونهـــــا بـــــتلص مثـــــل الـــــسارقين

قلـــــت لهــــا ﭬ ليـــل ضــــوو مــــا يبــــان

بيجــــي لعنـــــدك والخلايــــق نـــــايمين

قالــــت عليّـــــي مراقبَــــي ســــرّ وعلــــن

نعمـــل فـــضيحة لـــو التقـــوا فينـــا اثـــنين

قلـــــت لهــــا بـــــين الربـــــى والأقحـــــوان

نـــــسرح ونمــــرح والعــــواذل غـــــافلين

قالــــت حجـــار الـــسهل ﭬ إلهـــا لـــسان

بتْـــــشوفنا وتـــــصير عنّــــا مخبّــــرين

قلـــت الأرض ســـادّت علـــى أربـــع أركـــان

بقـــي الـــسما نطلـــع عليـــه مـــش قـــادرين

قالــــت صــــبور الــــصبر مــــا لــــو أثمــــان

وحيـــاة عمـــرك غيركـــم مـــا لـــي خـــدين

صــــرت جيــــب الــــصبر والحنظــــل كمــــان

اشــــرب واغــــسل لا قــــواي الــــذاهبي

عيون ساحرة

قــــامي رشــــيقه والمعـــاني ســـاحري
وعيـــون ســود وجفـــون حلـــوي وفـــاتري

بالــــصبا والغـــنج جـــسمه منتلــــي
فيهـــا حــــلاوه مـــن الغزالـــه النــــافري

بالــــصبا والغـــنج جـــسمه منتلــــي
صـــوت موســـيقي وأنوثـــه كـــاملي

شـــفْتها وحاكيتْهـــا وردت علــــيّ
هونيـــك لـــو بتـــشوف هلـــيّ صـــابني

كالطوربيـــدْ هلـــيّ فقـــعْ لـــو ببـــاخري
هونيـــك لـــو بتـــشوف هلـــيّ صـــابني
ســـلكْ كهـــربني وصـــهرني وذابـــني

مـــا كنـــت أعـــرف شـــو أخـــذني وجـــابني
فتّحـــت فمّـــي وعنـــدبالي إنّـــي حكيـــت

أثـــراتني بيـــدون عقـــل وذاكــــري

١ . قصيدة زيد الأطرش

عندما نزلت القوات الأمريكية والحليفة في الخليج والسعودية

راسي ما بك بس صاحوا وين راحوا   يا النشاما وانتصب للحرب عايل
من تحدَّى للوطن ننزف جراحو   والدمع يذرف على الخدين سايل
لا تنشد وترتجي والكل ما حوا[1]   عن طريق ما سواها من بدايل
وان يُقال بكيف والعلة سلاحو؟   نشد المقلاع تعطيك الدلايل[2]
وإن نسينا كيف ننسى يوم صاحوا   في عموريا[3] عذارى من نزايل
جوهم بجيش تولد من رياحو   عاصفات دمرتهم بالهوايل
لا ورب البيت ما يثوي جناحو   ولا أثيم من ينددد بالهمايل[4]
ولولا أن القلب تعصره جراحو   من عذارى ما لهن خلٌ يسايل

(١) ماحوا: حيدوا أو جنبوا.

(٢) المقلاع تعطيك الدلايل: إشارة لفتيان الحجارة بفلسطين.

(٣) في عموريا: إشارة الصارخة وامعتصماه.

(٤) الهمايل: المهملين، غير المبالين، غير الكترثين.

ينـــدبن مجـــدا تعفـــن بمراحـــو[1] خيبـــة كثـــر التنابـــذ دون طايـــل[2]

يـا هلـي يـا أحفـاد أبطـال استراحوا فـوق هـام المجـد يـا كـرام الـسلايل

جـددوا عنـداً مـضى واحيـوا فلاحـو[3] وانبـــذوا عهـــد التراشـــق والمهـــازل

وان بغيتـــوا للعـــدو تكـــبح جمـــاحو في بلـــدنا تـــوفرت كـــل الوســـايل

بغـــير هـــذا لا ســـبيلاً لبراحـــوا[4] والعـــدو مكـــن بنـــا خلـــف ودغايـــل[5]

---

(١) المراح: منزل البدو، مضرب الخيام وإقامة المراشي.

(٢) طايل: فائدة.

(٣) فلاحو: خيراته.

(٤) براحو: مغادرته.

(٥) دغايل: الجراح التي لا تبرأ.

الفصل الرابع

أقوال متنوعة

أولاً: قالوا في المعارك

لقد كان لجوفية اللواء زيد الأطرش "من هضاب شاد أهلنا فوق منه" صدى مدوياً في جميع أنحاء الوطن وقد أثارت نخوة العديد من الشعراء في جبل العرب فراحوا يشاركونه الفخر والإعتزاز بمعارك الأمة العربية وتضحياتها وبطولاتها.

فهذا الشاعر حمد المصفي يؤكد من جديد أن عزيمة الأحرار العرب لم توهن ولن تقر لهم عين إلا بتحرير الوطن وطرد الاحتلال بقصيدته:

٢ ـ حي قافاً كن صليل السيف دنا

حمد المصفي

حي قافاً كن صليل السيف دنّا	مجلجلاً بهضاب لبَّاس العمامه
من وحي قرمٍ تعالي وفاض فنَّاً	زيد هلّي طوّل علينا صيامه
الحصيف اللي على القِلاّت بنَّا	ولا تعاني بغير مهرو والحسامه
يا هلا بطرسٍ غريب اليوم عنّا	مضمخاً بالمسك والعنبر خِتامه
لخطوط النار قاصدنا معنَّا	من جهير امجادنا ونبع الكرامه
مَنْ هقانا ما يخيب بنوب ضنّه	كار أهلنا والسلف نرعى الذمامَه
ولا وهبنا غير لِحيفاً طعنَّا	وكلنا فدوات لثاني الحرامه
من قديمٍ تجدب الهيجا شطنَّا	وكل دارٍ للعرب تنهض أعلامه
واحلاته ! طول ليلٍ زاح عنَّا	بعدما سرمد تناحُر واختصامه

مـن القنـال ليـا هـضاب الطـوب غنَّـى وأرعــدت تــسعر مثــل يــوم القيامــه

تــدر كونــه يــا ضــنين الــصيد منَّــا مـــن خـــضم بـــيهلا بعـــرب ترامـــه

وامتـــزج دمّ الطوايـــف كـــلَ ســـنّه والجمــاجم صــرح للوحــدة تــسامه

ســيل جـــارف للمُعـــادي غاشـــينَّا مـــن الجزايـــر للكنانـــه للـــشآمه

حطمـــت "بـــارليف" وابراجـــاً تبنّـــى وكل عايل أضحت اليقضى أحلامه

مِـن خُلِقنـا ذُعـر جمـع الـضدّ حنّـا راضـــعين المرجلـــة ديـــد الفطامـــه

عـالوميض وعالقـضيض صبور كنَّا ولا عليهـا طيـور شـلوى مـن ملامـه

كـم شـهيدٍ خـضَّب الـصدغين حِنَّـا عَ ذُرى الجـــولان قلّـــد لـــه وســـامه

مـــن قـــبلكم كارنـــا نعـــدّي وطنَّـــا وكـل مـن داس العـرين انـشيل هامـه

وأنـــشدوا تـــلّ الفـــرس هلّـــي بخنَّـــا كـــان مـــا هـــو بالـــدما روّى رغامـــه

صــاح صــيّاح الــوغى والبــزر غنّــى والمبـــايع أصـــبح علينـــا لزامـــه

الـــــدروع تقابلـــــت مـــــنهم ومنَّـــــا حتــى ضــجَّت بــالكراديس الــصدامه

وللمعـــــارف رايـــــة البيـــــضا مثنَّـــــا للإســود اللّــي رووا نــصل الحــسامه

والخــصايص ضــيّ عــيني مــا تونَّــا عاسـعاير نـا رهـا "المـصفي[1]" ترامـه

مــن تنــادوا الربــع ثقــل الــشيل دنَّــا يــوم طبــل الحــرب صــوَّت للنــشامه

---

(١) شقيق ناظم القصيده الشهيد العقيد الركن شامل المصفي.

امحوديــاً يــمَّ العقيــد المــوت ســنَّا بلغـــوا مـــني التحيَّـــه لليتامـــه

بالتمــاني لــو عليــه حــضور كنَّــا عــلّ جـــرح القلـــب يُلـــئم لكلامـــه

صـــارماً يـــا زيـــد بالفـــاهق طعنَّـــا شـــال ســرجوف المحـــاور مـــن عظامـــه

واحـــسيفا ! يـــا عريـــساً مـــا تهنَّـــا رمّلـــه والنـــدّ يقطـــر مـــن لثامـــه

والهنـــوف الماضـــحك للغـــير ســـنّا وش تقـــول انكـــان مـــا جبنـــا رمامـــه

كـــم ضـــلومٍ قبـــل للباطـــل تبنَّـــا مثـل "هنـري" ولا حـصد غـير الندامـه

اللعـــين ابـــن اللعـــين ابـــن المـــضنَّا تحـــسب ذوادنـــا كِـــسب وســـلامه

ذول ريـــع الجـــوع حـــادي ســـوفهنَّا نهـــضوها وميرهـــا نـــابي الـــصنامه

لِوعـــود الزيـــف لا تْحـــِّب ركنَّـــا بالمحيَّـــل لا بـــتي ولبـــت زمامـــه

ذا وطنّـــــا يـــــالمفطوس ذا وطنَّـــــا مـــا حيينـــا لا يُمَـــس ولا يُـــضامه

والرفاقـــه كـــل أبـــوهم يـــشكرنّا مِـــنْ دِروا ســـلطان يقـــريهم ســـلامه

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

فهـذا الـشاعر نـايف العطـواني الـذي عـارض الـشاعر زيـد الأطـرش وأجـاد وأبـدع بتعابير الوصف والنضال والبطولات والتضحيات والتربية الوطنية للسلف وحتى للخلف.

٣ . بقصيدته (من ربوع بدار أهلنا قبل منا)

مــن ربــوع بــدار أهلنــا قبــل منــا   مانعــات وترفــل بعــز وكرامــه

معـــززة مـــن دور خالـــد والمثنـــى   صـامده مـن عهـد مكـة والحرامـة

والعــدو واللــي غزاهــا ومــا ســتنا   ولا جنـى مـن غزوتـه كـود الندامـة

[illegible]

* * * * *

والدســايس بينــا تفــرق ضــغنا   صــولة المــذياع مــا تــشفي المرامــة

ولا رضــينا بقــول هيــك وهيــك بنــا   ولا حمينــا حــدودنا بحــد الحــسامة

الــذليل يــضيع حقــه ومــا يــصنه   والقـوي يفـرض علـى الـدنيا احترامـه

ونكــسة حزيــران ذكــره يحرجنــا   ونكرهـــه بـــالهرج حتـــى المنامـــة

وزاد ضـيمي مـن الحقـود اللـي تجنّـا   حاقــد وفلــت علــى الــدنيا زلامــه

مــن صـفات الـذم يـا مـا شـاع عنـا   والـشمس مـا يحجبـه خلـط الكلامـا

الخزيــزي لــو تطــاول خــاب ظنــه   والـسبع لـو صـال مـا يهـاب النعامـة

يــا لمــشكك ويــن كنتــو يــوم كنــا   حــين صــرتم بالفــضا صــرتم نــشاما

أســأل ســهول البطيحــا تعرفنــا   مـــا اختبينـــا بـــالمواكر والرجامـــا

ومـا خـشينا المـوت حيـث المـوت سـنه   والعفـن عالـدوم مـا نخـشى خـصاما

كـم لنـا ثـورات تـدفع عـن وطننـا   مـن جيـوش الـترك وجيـوش الروامـا
بالمعـــارك لا قفينــــا ولا جبنــــا   عـــا العمر تاريخنـــا عـــزّ وشــــهاما
والرضـــيع المننـــا لـــو صـــاح ننـــا   نرضـعه حـب الـوطن قبـل الفطامـا
مـن فجـر تـشرين يـوم البـزر غنـى   وانتــصب ميــدانها بــشهر الـصياما
مـا نفـع جـيش العـدو علمـه وفنـه   ولا صـمد بـارليف واجتزنـا حزامـه
مـن عـوالي براجنـا الـصاروخ غنـى   ينعـــث الفـــانتوم بالـــدنيا غمامـــه
ونـــسرنا يـــنقض فـــوق تقـــول جنـــا   ونـــسرهم لـــو شـــافنا يغـــدي حمامـــا
لـو ارتفـع في الجـو طرنـا فـوق منـا   وأن تـــدرع بالـــدرع ينـــزل حطامـــا
نقهـــره قهـــر الـــذليل المـــستكنا   وإن عـصانا مـا بقـي منـه علامـة
كـــم شـــهيد قبـــل عيـــد الله ونـــا   وكـم يتـيم جـاح بـدموع اليتـامى
وكـم صـويباً مـن دم البـاغي تحنـا   وكـم جـديعاً ظـلَّ للكاسـر طعامـا
مـن جبـل الـشيخ غِرنـا ومـا وهنـا   عنف عن خشم العدو نركب سنامه
نفتـدي الجـولان نـدعيها مجنـا   نزرعـه بـالموت قامـه قـوق قامـة
ومـا رخـصنا حقنـا مهمـا تـونّى   ولا نـسينا القـدس لتقـوم القيامـة
ربّـــك الْيـــاراد دولابـــه يفنـــه   ينـــصفك بـــالحق ويبـــدّد ظلامـــه
فـــرق مـــن تـــشرين لحزيـــران عِنَّـــا   فـــرق مـــا بـــين النّـــصر والإنهزامـــه

فـرق بـين اللـي كـسب واللـي تمنَّـى   بـالتّمنّي مـا رفـع مخلـوق هامـه

مـن فزيـع جيوشـنا والكـلّ جِنّـا   مـن قفـا مكنـاس لحـدود المنامـه

زغـردت أمّ اليتـيم وبـان سِـنّه   يـا ضـنى عـيني تهنّـى بالوسـامه

مـات أبـوك ومـات أخـوك بفـرد سِـنّه   وكـم فـدينا هـالوطن يامـا ويامـا

والـشّهيد اللـي ثـوى مثـواه جَنّـه   عنـد ربّـه بالـسّما عـالي مقامـه

يـا رفيـع الـشّان حلمـك يوسـعّنّا   تنـصر جيـوش العروبـة بالختامـه

نواف العطواني ـ السويداء ١٩٧٤

وهذا الشاعر خليل قبلان يدخل إلى الحلبة بقصيدته

٤ ـ (من مرابض من عرين أسود أهلنا)

مـن مـرابض مـن عـرين أسـود أهلنـا   مـن جبـل عـالي علـى الـدُنيا تـسامه

الـ بقيـت أسمـع صـهيل خيولهنّـا   يـوم حـزّات الغلاصـم والزحامـه

عـزوةً ألمـح بريـق سـيوفهنّا   مثـل شُـهبٍ في ديـاجير الظلامـه

مـن القريْـا مـن سـفح عـالي جبلنـا   موطنـاً يفـرض علـى الـدُّنيا احترامـه

سمعـت صـوتاً مـن زمـانٍ غـاب عنّـا   كنـت أقـول إنّـو احتجـب منـذ أعوامـه

مِـن سمعنـا الـصوت يـزأر مـا ذهلنـا   صـوت عوَّدنـا التغنِّـي عاانغامـه

كـــان بـــالثوَّار مـــع قيـــد ومهنَّـــا   يـــوم ســـلطان الـــوغى قـــاد الجهامـــه

مـــع هلِّـــي يومـــاً دعـــون دروعهنَّـــا   " بـــالكفر " خلّـــوا حدايـــدها حُطامـــه

وحـــين ســـدُّوا بالعمامـــه طوابهنَّـــا   يـــوم "غـــورو" بـــالوطن نفَّـــذ إجرامـــه

قـــافكم يـــا زيـــد جـــامنكم وعنَّـــا   مُنـــت يومـــاً بإسمنـــا تهـــدي الـــسلامه

لجيـــوشٍ حطّمـــون خطوطهنَّـــا   حجارهـــا برجالهـــا باتـــت ركامـــه

مـــن فقـــا بغـــداد للبحـــرين جنَّـــا   ومـــن وراصـــنعاء لـــبلاد الـــشآمه

الزواحـــف هـــزَّت البطحـــاء منّـــا   تقـــل رعـــداً بالـــسما تـــسمع ارزامـــه

"الميـــغ " للمـــيراج" كـــان يطاردنَّـــا   مثـــل صـــقرٍ طـــارد بجالـــه حمامـــه

و " سام سِتّه " كم ذعر " فانتومهنَّا "   تقـــل ذيبـــاً بـــالخلا يُـــذعر أغنامـــه

تماوجـــت مثـــل البحـــور الهايجنَّـــا   قامـــت الـــدينا تقـــل يـــوم القيامـــه

تـــشابكت دروعنـــا بـــدروعهنَّا   نـــار كـــبرى غطـــت البيـــداء اقتامـــه

❖ ❖ ❖ ❖ ❖   ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

كـذلك الـشاعر احمـد النوبـاني يـدخل المعمعـة مـع أيحـاء بطـولات أم الرمـان ومواقفها الوطنية الخالدة... بقصيدته:

٥ . (يا رسولي هم وانقل ما نظمنا)

يـا رسـولي هـم وانقـل مـا نظمنـا   مرشّـداً، يرعـى ركابـك بالـسلامه:
مـن خطـوط النـار يمـم لَجبلنـا   عـا لقريّـا دار عنـوان الكرامـه
التحيّـة بلّغـه منّـك ومنّـا   لأبـو غالـب شـوق مـن لفّـت لثامـه
يـا خوبلـشي قولـك بحينـه وصلنا   البلاغـه ملككـم مـا بهـا زحامـه
فعلكـم مـشهود ياقـدوة أهلنـا   ومـثلكم يكفـاه مـن يرعـى الذمامـه
اسـتميحك عـذر ثُـمَّ اخـبرك عنّـا   وعـن فعايـل لا بتـك يـوم الزحامـه
كُلّهـم يـا زيـد ! مـا واحـد تِوَنّـا   بـايعين أرواح بحـدٍّ الحـسامه
يـا قيـدوم الجيـل برجالـك تِهنّـا   مَـنْ يـشك بفعـل راعـين العمامـه؟
وجـوه ربعـك وأنـت تعـرف فعلـهنّا   يقحمـون المـوت طلاّبـة شـهامه
أسـتميحك بعـد علـى عـدهنّا   للـذِكر لا للحـصر خـوف الملامـه
إبـن مـصفي وأخـو نـصره والـ مكنّـا   والحـديفي وأبـو عاصـي والـسلامه
عبيـد والـشاعر وجـابر مـا تونّـا   وابـن عبـد الـدين والبـاقي لزامـه
مَـنْ قـضى يـا زيـد قلنـا: المـوت سنّـا   والـ بقـوا بكفـوك لِـشق الظلامـه
بالـسما بنـسورنا نعتـزّ حنّـا   وابـن زغـبي سـدد وأوفـى التزامـه

بالمــــدافع ربعنـــا ينبـــوك عنَّـــا   وبالقواعــد كــوبرا وصــاروخ ســامه
والــدروع تعــنّ مــن دوشــة بطلنــا   والمراصــد شــاهدت صــول التحامــه
نــايف العاقــل علــى المرصــد تكنَّــا   قايــد ربوعــه وخــايف لــِ آلامــه
لا بــتي لمّــن درون البـــزر غنّـــى   فطـوا مـن عنـدي تقـل خطـو النعامـه
تــصاولوا علــيهم تقــول فــروخ جِنَّــا   ولا بقــي هــرجٌ ســوى ويــن النــشاما
ولا رضـــينا مـــنّهم سِـــنّاً بـــسنًّا   بـل سـداداً مـن جمـاجمهم أكوامـه
مــن عقــب يــا زيــد بالعليــا وصــلنا   واســـتعدنا بـــضحايانا الكرامـــه

❖ ❖ ❖ ❖ ❖   ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

ثانياً ـ قالوا في القهوة

١ـ القهوة العربية ـ معانيها ومغازيها

يــا واصــفين الــبن وصــف المحــبين   مــن الــشوق للمحبــوب كُــلٌّ يعــاني
منظـومكم يـا أجـواد مثـل الطـرابيين   فــوحَ شــذاها بــين فعــل ومعــاني
حــارت أفكــاري إبتــدي كيــف ومــنين   مثـــل الثريّـــا نورهـــا شعـــشعاني
وإلا بكــار أحــرار مــن نجــد حلــوين   كِلــنَ تخالــه بالــسبق أولانـــي

الــبن مــا هــو بــس كـيـفٍ وتهــاجين الـــبن ســـر الجـــود مـــن دور هـــاني

ملقـــى النـــشاما بعاليـــات الـــدواوين ومـــشروب أهلنـــا مـــن قـــديم الزمـــاني

حولـــه شـــيوخ مثـــل جمـــع المـــصلّين بمقعـــدٍ ترجـــاه طيـــب وأمـــاني

تلقـــى الأمـــارة والـــوزر والـــسلاطين مثـــل الجوامـــع والـــشهامة ديـــاني

تـــسمع كلامـــاً عـــن قـــراب وبعيـــدين امتـــان الحظـــوظ محـــصنات اللـــساني

وهرجـــاً معـــدَّل مـــا نبـــا بطـــاري الـــشين مثـــل الخيـــول محفظَـــه بالعنـــاني

وإنْ صاح صايح يطلب العـون صـلفين عقبـــان علـــى اللـــي يبتغـــون الطعـــاني

أليـــا انتخـــي غـــصبان ابـــن الثمـــانين عـــدّل ولنّـــه ابـــن عـــشرة وثمـــاني

ويـــوم الحـــساب انـــصار خفـــة مـــوازين ريـــع العمـــايم رجحـــون الميزانـــي

بوصـــفهم ضـــاقت طلاحـــي ودواويـــن ومـــن طيـــبهم حـــارت أفكـــار وبيـــاني

يـــا مـــا حـــلا الفنجـــان مـــع معـــشر زيـــن يـــشفيك لـــو إنـــك صـــويبٍ تعـــاني

ومعـــزّب الـــرحمن يـــسكب فنـــاجين وببـــشر الجـــيران ضـــيفاً لفـــاني

والهيـل الخـضر يـبري صـدوراً غـليلين عنـــد الـــصبح مـــن صـــيحته للأوذانـــي

مـــن بعـــد ذا ابـــديت إشـــرح مـــضامين عـــن خـــاطر بـــالجوف حـــرّة ســـلاني

نقـض جروحـي بعـد ان كـانن دفـينين ومـــن الألم قنطـــار هـــم غـــشاني

ديـــار العـــرب صـــارت بـــضاعة ومـــواعين نهبـــا بأيـــدي مـــضيعين الرســـاني

صـــهيون جـــرد والأجانــب مغيريـــن   والغـــرب هـــدد والخفايـــا دفـــاني

هبــوا علينـــا مثـــل ريـــح الخماســـين   صـــفر النيـــوب مكـــشرات الـــسناني

ويـــن الربـــوع وويـــن هـــك الميـــادين   شـــرابة الـــدم الحمـــر ديـــد حـــاني؟!

صـــكوا علـــيهم مثـــل رف الـــشياهين   مـــن ســـوريا ولبنـــان صـــكة حـــصاني

وتـــسامكت بـــالجو نـــار ودخـــاخين   وفـــوق الروابـــي دروع صـــيد متـــاني

وباقي العرب ما حد سمعنا لها لحين   يـــا حيـــف يـــا مجـــد تليـــد يهـــاني

لا بـــد مـــا يخـــضر زرع البـــساتين   ويعقـــد ثمرهـــا فـــوق كـــل الأغـــصاني

ويأتي الفرج لو كان حيناً بعد حين   ويـــدوم عـــز بلادنـــا والأوطـــاني

محمد جادو شجاع

٢ـ الأستاذ القاضي /فوزات قيسية/ المقيم بدمشق، يرد على موضوع (القهوة العربية) بهذه القصيدة التي يذكر مناسبتها كما يلي:

زارني أحد وجهاء المدينة، فقمت بتجديد القهوة على عادة العرب الكرماء احتفاءً بالضيف الوجيه الذي شرب الفنجان الأول بامتعاض ورفض الثاني قائلاً: "ما بحسن أشربها مرة أخي، زيدها سكر"... فوجدت من مناسبة هذه الزيارة الدافع القوي لكي أضيف إلى (قصائد القوة) هذه القصيدة:

نَـسَّمْ عقبهـا بـالحَمسْ بـينْ حـالينْ   حـالٍ يباعـدْها وحـالٍ يـداني

رَجْـلٍ شِـربْ فنجانهـا يـصرع الـبين   ورجْـل تلـهّى بالقـشر والزيـواني

سَـوّيتها واعْقّـد قَطْرهـا بعـدْ حـينْ   عِـزَ المـسيِّرْ يـا المعـزّبْ أمـاني

وقـدّمتْها بيمنـى لـضيفٍ ملـو العـين   عَافـه مـن أولْ قَبـلْ مـا يـشفْ ثـاني
شُوفهْ تلمَّـضْ مثـلْ شـيخ الـسَّعادين   ويقـولْ: كـايـفْ، مُرّهـا مـا واتـاني
مالومهم، بعض الحضر من بيت زين   مـشروبهم بمـذهبات الـصواني
لا تعـودوا ملقـى الـضيوف العزيـزين   ولا تعلمـوا النخـوات يـوم الكـواني
بـاعو الكرامـة ونجرهـا والمـواعين   وتفـاخروا بمعتقـات القنـاني
راحـوا بطمعمهـم يجمعـون الملايـين   وتنكـروا لأصـولهم والأوطـاني
خـسارة بكـم فنجانهـا يـا البعيـدين   لأنـتم أهلـها ولا هـواكم يمـاني
ولـو خيرونـي بـين يلـدز وسـلقين   ما اترك هوى السمرا ولا بصولجاني
القهـوة اللـي عبقهـا يفـوح للـصين   مـن يـم شـهبا لا عـرى لا متـاني
القهـوة اللـي حـضورها يفـتح العـين   رمـز العروبـة والكـرم مـن زمـاني
اليـاطق ممـشوق الخـصر بالفنـاجين   مـا تعـوز عـن طيـب المعـزب بيـاني
يـا زيـن صـف دلا لهـا بالـدواوين   سمَّارهـا يلفـون سـبعه وثمـاني
وشـاعر ربابـة يـسحب القـوس تلحـين   وشـيخ يحـل رموزهـا والمعـاني
يـا مـا انتخـى بفنجانهـا ابـن عـشرين   ويـا مـا اهتـدى عاضوها ضيف عـاني
ويـا مـا تنـسم ريحهـا شـرق ذبـين   واعبـق دخنهـا فـوق تـل قـروان
ان ابـدر قمرهـا يونـسك ضـو الفـدين   ونـسمات تـل الـشيح نـد وريحـاني

يـا زيـد مـا مـشكاي وعـدي لكـم ديـن   قفيتهـــا مـــن يـــوم علمـــك لفـــاني

معـــشوقتي يـــا زيـــد بـــالحق والـــدين   مـــا فوقهـــا ليـــا صـــار ربـــك كفـــاني

فوزات حمود قيسية /الغارية /في ١٩٨٤/٤/١

٣- قصائد الظلماوي

يقال أن عبيد بن الرشيد منع تقديم القهوة واستقبال الضيوف إلا في مجلسه فلا تدور القهوة إلا في مجلس شيخ العشيره فامتعض أحد الشيوخ من فريقه "الظلماوي" فهدَّ بيته وشال مرتحلاً بعيداً عن شيخ العشيرة فنصب بيته المروبع وراح يطبخ القهوة ويستقبل الركايب الوفد بعد الآخر. وعندما علم عبيد بن الرشيد بذلك أرسل بعض الرواد يختبرون الموضوع عند الظلماوي حيث وجدوا القهوة المرة واستقبال الركايب، كأن الظلماوي شيخ مستقل ولقد استقبلهم بمخاطبة القهوجي عنده بالقصيدة التالي:

(يا كليب شب النار)

يـا كليـب شـب النـار يـا كليـب شِـبّه   عليـــك شـــبّه والحطـــب لـــك يجـــابي

أنـــا علـــيّ جيـــب ماهـــا وحبَّـــه   وعليـــك تقلـــيط الـــدلال العِـــدابي

إنجزلهـا يـا كليـب مـا جـرم خبَّـه   وأحمـس علـى جمـرٍ عقـاب إلتهـابي

كبِّـــه بنجـــرٍ يعجبـــك زيـــن دبَّـــه   يـضبح كمـا ذيـبٍ عـوى بـرأس نـابي

وليـا اسعرت يـا كليـب واضـا التهبـه   تجلـب لهـا يـا كليـب ناسـاً غيـابي

بـشرقيِّةٍ يـا كليـب شـنعاً مهبَّـه   مـــتعكفين وســـوقهم بالعَقـــابي

يـرودا لهـا يـا كليـب خطـو الجَلَبّـه   بـرووا المـضامي بالرشـا والقِرابـي

كـم واحـد ليـا نـسَّمت يلعـن أبَّـه   يـا حلـو تـالي الليـل ملفـى الرِكـابي

إنهلّـى بهـم وحجاجنـا مـا تغبَّـه   لـو شـحْ بـالهيّن غلـيظ العلابـي

واذبـح لهـم كبـشاً عريـضاً مَلَبَّـه   مـن منحـر الـسكين حتَّـى الرقـابي

بجوزيـةٍ يـا كليـب واعجـل بـصبَّه   والـرزق عنـد اللّـي يجيـب الـسحابي

خطـو الولـد يلـبس زبـونٍ وجُبَّـه   ومعلقينـه مـن خطـات الزهـابي

وخطـو الولـد روس المعـادي يقبّـه   ليـا زغرتـون البـيض، حمـر الخـضابي

عاد الرواد وأخبروا عبيد الذي اعتبر عمل الظلماوي يخالف ويتحدى قرارات شيخ العشيرة فأرسل له مركوبية /١٢/ خيال مزودين بأوامر جلب الظلماوي مكتوف اليدين أقرع الرأس حافي القدمين ولما امتثل مجلوباً في مجلس الشيخ ارتجل القصيدة التالية:

(لا تكرهن لوماك ما قُلت يا كليب)

لا تكرهن لومـاك مـا قُلـت يـا كليـب   ولا قُلـتَ شـبَ النـار بـ موقدِلّـه

يـا بـوا اليتـامى والعمـي والمحاديـب   يـا ريـف[1] مـن صـار العـصا ثالثـاً لـه

تحـرم محاليبـاً وتكفـي محاليـب   كبـداً تيبَّـسها وكبـداً تبلّـه

مـن كـل صـوغه يرسـلن لـك مكاتيـب   مـا هـو غـلا يـا مـسندي مـار ذِلّـه

(١) وهذا شاهدٌ رائع على المدح بصيغة الذم. ويروى صدر هذا البيت أيضاً: إحرص بروحك يا قليل العذاريب.

يالصعل يا صعصيل يالنمر يا نشيب   عـــالعوص شـــدُّوا زاهيـــات الأجلّـــه
وليـا اعتليتـوا أكـوار شُـمّخ جناديـب   عيّـــال زوبـــع مزنـــةٍ مُـــستهلّه
أضـرب بهـم يـا مـير كـلِّ الجوانيـب   مـــادام رأســـك ســـالماً مـــاش ذلّـــه
يـا جـوهرَ الإبريـز يالمسِك يالطيـب   يـــا عنـــبراً مَـــنْ قاريَـــك مـــا يملّـــه
يـا حُـرَ يـا مـشفي رؤوسَ المراقيـب   يـــاللّي تفـــوت لـــصاحبك كُـــلّ زلّـــه
يالـضيغمي يـشداك سـوق المزاريـب   عتمـــه وظلمـــه وتايهـــاً بـــو مدلَّـــه
طيبـك كمـا بـيرٍ عـسير المجاذيـب   تـــسعين بوعـــاً ثلـــثهم كـــان قلّـــه
عـذريت نفـسك يـا قليـل العـذاريب   لـو تـشتحم مـا تجمـع الطيـب كلَّـه

❖ ❖ ❖ ❖ ❖   ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

ويُروى بأنَّ الأمير قد عفا عنه بعد سماعه لهذه القصيدة وألغى الحضر الذي كان قد فرضه على أبناء قبيلته بعدم إستقبال الضيوف في منازلهم.

٤- الفارس الشاعر راكان بن حثلين

((تجمعان من حثل القهوة))[1] زعيم قبيلة العجمان اليمانية عاشت القبيلة في الجزيرة العربية بين مضارب الصمَّان والدهناء، يقول في القهوة:

---

(١) حثل القهوة: الحثالة والنفافة الخشنة التي تبقى بعد الطبخ.

يا ماحلا الفنجان مع سيحة البال في مجلس ما فيه نفس ثجيله[1]

هذا ولد عم وهذا ولد خال وهذا رفيج[2] ما ندور مثيله

يا بو هلا طير الهوى خبث الحال الطير نجري والحباري جليلة[3]

يا الله يا للي طالبك بعد ما قال: يللي من الضيقات ينجي دخيله

والدم من قحص الرمك يثمل ثمال يزعج على وروك السبايا وشيلة

سجنه الأتراك في سجونهم مثل شبلي الأطرش وأبو فراس الحمداني في سجن الروم وله قصائد بدوية تشبه الروميات لأبي فراس.

في الباخرة إلى المنفى يخاطب أحد رفاقه حمزة:

حمزة جلينا عن ديار المحبين ولا عاد جانا من سنعهم علومي

مشوا بنا العسكر لدار السلاطين في مركب جواه ترك ورومي

واليامشى المركب تهل العين والصبر بالشدة علينا لزومي

٥- زرت أحد الأشخاص فوجدت عنده نجر / جُرن قهوة / وهذا النجر يستعمله مهرمة للخضار في المطبخ. عزَّ عليَّ هذا الموقف. خاطبت الجرن بهذه الكلمات المتواضعة:

---

(١) ثجيله: ثقيلة: تلفظ القاف جيماً في لغة البدو.

(٢) رفيج: رفيق.

(٣) جليله: قليلة.

يـا حيـف يـا نجـر الكرامـه تـذلّ   مـن حالتـك يـا هيـه قلـبي يغلـه

مـن بعـد ذاك العـز مـع بنـت الـيمن   غــديت كــالمطعون مــن خلّــه

لا واســقا الله بيــوم تنــده الخطــار   يلــتم حولــك مــن بعيــدين وجــوار

تقـضي وتفـدي لهـلا الحـق وشـوار   والكــل راضٍ بالقــضايا طايعــاً لــه

* * * * *

رد النجــر بالــسّاع ادميــت الجــروح   وذكــرتني بالخــل بمعــادل الــروح

ذكــرتني بالهيــل طيــبٍ لهــا يفــوح   واشــتقت للفنجــان مــع طــق دلّــه

ذكــرتني يأهــل الكرامــة والــشيم   وبمــرقعين عبيهــا الــصادوا رُمــم

ذكــرتني بقــروم مــا تهــاب الحمــم   وذكــرتني بمــاضٍ مجيــدٍ نجلّــه

مــن حــال ربــع اليــوم زادٍ غبــوني   بعــد المقاعــد بمحــرمهم رمــوني

اتمنيــت اغــدي رمــاد ولا يزدرونــي   مــن فعلــهم والقــول العــوذ بــالله

ناديـت أنـي يـا أهـل الكرامـة والوفـا   لــدِّن بحــالي غــديت عَ جــال الــشفا

مـا هـو الـسبب يـا ربـوع اعطيتـو قفـا   والــبعض مــنكم عــن أمجــاده يتلّــه

تقــولن الحــضارة هــي ســبب   حنــا ترانــا يــالرَّبع تهنــا الــدرب

اســأل إلــه الكــون فــراج الكــرب   هــو الحكــيم وللمــصاعب يحلّــه

كمال أبو سعيد / الهويا /

٦ . القهوة

للمجاهد الشاعر علي عبيد

قـــم ســـو فنجانـــاً دع البـــال يرتـــاح   فنجـــان بـــن يطـــرد النـــوم ونعـــاس
يامــا حــلا والنجــر لــو صــار ضــبّاح   صــوته يلعلــع عــده طبــول واجــراس[١]
مــا يلزمــك عــزّام للنــاس وصــيّاح   ياتيــك اخــوان الــصحاري ومــتراس[٢]
ويامـا حـلا الفنجـان مـع كـل مـصباح   فنجـان مـع هـال الخـضر يـدوش الـراس[٣]
بانفـك كمـا الجـواري شـذاها اليافـاح   تصبـغ على الفنجان تجمد على الكاس[٤]
مـن يـد نمـر يرعـب الخيـل لـو صـاح   ليـــث غـــضنفر للمنـــاعير دهـــاس[٥]
بـــبلاد نجـــد ويلزمـــو جـــد ومـــزاح   عـــدك بعـــين المـــرج والاّ علـــى رســـاس[٦]
مـــع كـــل قـــرم للطـــوابير نطـــاح   يـضرب عـدوه بأوسـط القلـب وحـواس[٧]
ارجـــي مراجـــي رازق الـــوحش واجنـــاح   يـــرحم قلوبـــاً عـــدها بقـــدر تنحـــاس[٨]

---

(١) الجر أو الجرن قطعة من الخشب يدق فيها البن، ضجت الخيل: أسمعت صوتاً بين الصهيل والحمحمة.

(٢) المتراس: الأرض أو الصخور التي يتستر بها المحارب.

(٣) يدوش الراس: يذهل الرأس، ودوشت العين ضعف بصرها.

(٤) الجواري: ورد الجوري.

(٥) للمناعير دهاس: يدهس ويدوس، والنعرة الخيلاء، والكبر والأنفة أي يدوسون المتكبرين.

(٦) عين المرج ورساس: نبعن قرب السويداء.

(٧) الطوابير: مفرها طابور وهو فرقة من الجيش من ٥٠٠ وحتى ١٠٠٠.

(٨) تنحاس: من حاس أي حرك.

همي جزيل ودمع عيني جرى وساح   من جور دهر ماله دين ينساس

متى الليالي البيض تلفي بالرياح   ويكون مكسبنا الشذى ورفعة الراس

حييك يلي للعلا دوم طماح   وخسيت ياللي ترافق أذلال وخساس

ياما حلا البرجاس في الحرب وسلاح   ونطرب على البارود وإن دام القواس(1)

واحنا حماة البيض وسياج الملاح   وحنا قروم الحرب صعبين المراس

وياما لنا عادات في طعن الرماح   والمرجلة من دور آدم لنا ساس

واختم كلامي بحمد من هب الأرياح   حاصي أعمال الخلق مع عد الأنفاس

ثالثاً- قالوا في الرثاء

١ . ابن عرمان يرثي ابن نجران وأبناء بلده

برقٍ شلع من فوق عرمان يا ناس   رعدٍ هدر عز الخمس وانكمدنا

البرق هللي زلزل القاع بانياس   خم الربوع وقام يرزم رعدنا

يمطر على نجران والقلب محتاس   يسكب برد خلخل مفاصل جسدنا

غيم سمك خيم على الجو حنداس   عمق جروحاً بالحشا مع كبدنا

---

(١) القواس: اطلاق النار.

العــين مــا تعــرف وســنها والنعــاس   خسارة كبيرة فـراق غالـب[1] عمـدنا

العيــد عــاد وأصــبح الريــق يبــاس   هبيــت يــا عيــد بــسهامه رجــدنا

حوضب علينـا يضرب القلـب والـراس   مــن بعــد أبــو وليــد[2] أدبــر ســعدنا

جــار وصــديق وأخ والــشرف مقيــاس   عنــد الوفــا وعهــد المــودة عهــدنا

لمــا ســلكنا الــدرب بــشدة البــاس   يامــا بعتمــات الليــالي انوجــدنا

دربــاً طويــل ووعــر كأنــا بمــتراس   ســرنا علــى طــول المــدى ومــا قعــدنا

يــا تربتــك عرمــان عنــبر مــع المــاس   نحــرص عليهــا حرصــنا عَ ولــدنا

جادو نصر عرمان

الكفن الوشاح

عيسى عصفور في رثاء المجاهد المرحوم صياح النبواني

نــورْ أطــلَّ علــى الثــرى وصــباح   هــذا الجــبين الأبلــج الوضــاح

مــا غــاب، لكــن العــلا حنّــت إلى   لقيــاه مــن نعمائهــا تمتــاح

صــياح، مــا كانــت لنــا مــن ســاحة   إلا وأنــت أمامهــا المفــصاح

---

(١) غالب: المرحوم غالب عبد الكريم نصر (نجران).

(٢) أبو وليد: سليم الزغير (عرمان).

صـــياح، مـــا رانـــت علينـــا ظلمـــة إلا وأنـــــت بريقهـــــا اللمــــــاح

صـــياح مـــا مـــن معـــضلات أطبقـــت إلى وأنـــــت طبيبهـــــا الجـــــراح

صـــياح، مـــا كانـــت لنـــا مـــن نـــدوة إلى وأنـــــت عبيرهـــــا الفـــــواح

كنت العظيم لـدى العظـائم، لا تـرى مكروهـــــــةً إلاّ لهـــــا مفتـــــاح

كنـت الـشهيد الحـي خـضت غمارهـا وزحمتهـــا حـــين الخطـــوب فـــداح

ورغبـــت عـــن جـــاه المناصـــب راضـــياً خبـــز المناصـــب موقـــف وكفـــاح

كنـــت الـــصفاء ســـريرةً ومحبـــةً دأب الكـــــرام أمانـــــةٌ وسمـــــاح

يفـــترُّ ثغـــر الليـــث عـــن أنيابـــه جهـــراً، ويكـــتم غـــدره التمـــساح

اليـــوم ضـــيفك بـــاتراب مناضـــل ماضـــي الـــشكيمة، ملـــهمٌ، ممـــراح

عـــاش الجهـــاد مـــروءةُ وتعففـــاً لا مطمـــــع فيـــــه ولا أريـــــاح

مـــا نـــال مـــن إيمانـــه وعنـــاده في الحـــق طاغيـــة ولا ســـفاح

في معقـــلٍ مـــا عـــاش في أفيائـــه إلاّ صـــــوارمٌ فـــــذة ورمـــــاح

جبـــلٌ وســـادتهٌ النجـــوم، ومهـــدٌ في النائبـــات عقيـــدةٌ وجـــراح

طابـت عروبتـه فـإنْ ضـيم الحمـى جـــلَّ الفـــداء وأرخـــصت أرواح

ســلطان بـــارك بأســـه فتفجـــرت قمـــم، وضـــجت بـــالخيول الـــساح

صـــياح، شـــعري عـــن وفائـــك قاصـــرٌ أنـــت الخـــضمُّ ومـــا أنـــا الـــسبّاح

عــزمْ كمــا شمــخ القليــب، وهمــة قعـــــساء لا تخبـــو ولا ترتـــاح

قلـــب تقمّـــص وثبـــةً وعروبـــة عجبـــاً أتحمـــل قلبـــك الألـــواح؟

مثـــواك نـــبراس الـــشهامة والنهـــى والـــبرّ والكفـــن الطهـــور وشـــاح

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

٢ . جاد الله جبيب يرثي صابر حمد نصر / نجران /

سـهم شـطح مـن يـم نجـران يـا نـاس قتـــال دامـــي وضـــامني بـــشظاياه

سـهم علـى صـيد المـشاهير محتـاس يامــا ويامــا رتــوت راحــت ضــحاياه

تحكـم بـصابر تـارك خمـس وسـداس يــا ريــت يــا صــابر عفــتكم منايــاه

حكــم علـــى كـــل المخـــاليق دواس لا راحـــم ولا مرحمــــه مـــن بلايـــاه

اليـا جيـت عـدد صـابر بجـد وإحـساس صـــابر يـــا زينـــة مجتمـــع بمزايـــاه

عفـه ورفقـه وطيـب معـشر وحـساس حـــب وأمـــاني والـــدمح مـــن مزايـــاه

يـا خـسارتي بـصابر بـلا حـدود وقيـاس ويـــا ضـــيم صـــابر ضـــامني برزايـــاه

نغـصة رفـق باتـت متاعـب ووسـواس عـــشرة عمـــر ضـــاعت مـــصادر حلايـــاه

صـابر يـا منـوة كـل تايـه ونـساس ويـــا سـعد مـن عـاش الـزمن بمعايـاه

إن قالوا السخا ولا الوفا كان نبراس مـــا هقـــوتي بـــين الرفـــق مـــن تحـــداه

أمـــا الـــشجاعة والبطولـــة ولا بـــاس مـــا هقـــوتي بـــساحاتها مـــن تعـــداه

متواضـــع مـــا يكـــره الخـــير للنـــاس   يـــا طيـــب قلبـــه ويـــا صـــفاوة نوايـــاه

وإن صـار هــرج ومــرج مــا بــين جــلاس   يـــا زيـــن صـــابر والمخـــاليق تـــصغاه

يـا مـوت مـا عنـدك مبـادئ ولا سـاس   يا كيف تسفط صابر وكيف تسخاه

يـا بـو كمـال لعيـال صـابر أنـت راس   الـــبي أنـــت وأنـــت رجـــوة بقايـــاه

حـل القـضا مـا تنفـع أحـزان وأعـراس   صـابر غـدا انقطعـت أخابيـل لقيـاه

اصـــبر وربـــك يرجـــع المـــي للكـــاس   ميَّـــة نقيـــه مـــن مكـــارم عطايـــاه

يـا عيـال نـصر مـن الجبـل لكراكـاس   تـــسلم روســـيكم العـــواض بـــضناياه

❖ ❖ ❖ ❖ ❖   ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

نجران ١٩٩٤

٣- تحية من القلب إلى روح الشهيد محمد الدرّة

((شهيدُ الطفولة البريئة ـ وإلى أرواح الشهداء البررة من أجل فلسطين))

إنَّ الـــذي قتـــل المـــسيح المُنتظـــرْ   لا يرعـــوي عـــن قتـــل أبنـــاء البـــشر

قتْـــلُ الملائكـــة الـــصّغار جريمـــةٌ   مهمـــا بـــدت أســـبابُها، لا تُغتَفَـــرْ

سـفكوا دَمَ الأطفـال لم نـسمعْ لهـم   عُـذراً، وهـل أبـصرت وحـشاً يعتـذر

قتلـــوك يـــا حمـــلاً وديعـــاً آمنـــاً   يـــا دُرّة القُـــدس، ويـــا أغلـــى الـــدُرَرْ

قتلـــوا الـــبراءة والـــسلام بقتلـــه   قتلـــوا المحبَّـــة، والتـــسامُحْ يُحتـــضر

هـــزَّتْ ضـــمير الكـــون فِعلـــةُ مجـــرمٍ   يـــصطادُ أطفـــالاً، وتفـــضحهُ الـــصُّور

هـــي صـــورةٌ وحـــشيّة عـــن قاتـــل والرّعـبُ يعتـصِرُ الـضَّحية، والخطـر

كـــمْ قلـــبُ أمٍّ شـــاهدتْ مأســـاتهُ مـــن هـــول غاشـيةِ تـصَّدعَ وانفطـر

كـم مــن أبٍ قــد خــال ان محمَّـداً ابــنٌ لــه، فالتــاعَ ـ والقلـبُ انـشطر

هـي صـورة لقطـتْ بلحظـة صـدفةٍ مــا بــالكم لــو صــوَّروا ألفــي خــبر

حتّــى وديعـــات اليمـــام تنـــاثرتْ أشـلاؤها نتفـاً علـى وجـه الحجـر

لــو كــان في صـهيون حبَّــة خــردلٍ مِـنْ رحمـةٍ مـا دمَّـروا ((بحـر القمـرْ))

((صــبرا وشــاتيلا)) دليـــلٌ فاضـــحٌ بـل ألـف مجـزرةٍ، فهـلْ تـصحو مُـضَرْ؟

حقـــدٌ دفـــينٌ في صـــميم قُلـــوبهم غـــدرٌ وتزييـــفٌ، ومخفـــي ظهَـــرْ

غـــربٌ يـــواليهم ويرعـــى بُطلـــهم وحقوقنــــا في عُرْفِــــهِ لا تعتبَـــرْ

هـــذي فلـــسطين الجريحـــة ذنبهـــا تطهـــيرُ تُربتِهـــا، وقـــد حـــان القـــدر

يـــا صـخرة المعــراج قــومي واشـهدي إن الغُـــزاة اليـــوم، قـــدْ فـــاقوا التَتَـــرْ

مـــا بـــالُ قُـــدسُ الله دُنِّـــسَ عرضـــها والعـــرب والإســـلامُ، وعـــدٌ ينتَظـــر

يـــومَ تـــضيقُ بـــزحفهم أرجاؤهـــا يـــا قـــاتلي أطفالنـــا، أيـــن المفـــر

بُورِكَـتَ يـا مَـنْ قـد حَـسمت صـراعنا فالنـــصر في هـــذا المـــسار المُخْتَـــصرْ

إنَّ الـــذينَ استُـــشهدوا أكبادُنـــا في أرضـــنا، والواجـــبُ الأســـمى أمـــرْ

طـــوبى لِكُـــلِّ مُـــضرَّجٍ بدمائـــه فالجنـــة المـــاوى، ويـــا نعـــم المقـــرْ

أمَّـــا الغُـــزاةُ المُعتـــدون فويلـــهم ومـصير مـن قتـل الـصغارَ، إلى سَـفَرْ

يـــا أمّ ذاك الـــشبل فخـــراً زغـــردي فمحمّـــدٌ قـــد صـــار عِطـــراً وانتـــشر

أمّـــا الـــذي قتـــل المـــسيح المُنتظـــرْ لا يـستحي مـن قتـل (أطفـال الحَجَـرْ)

إنْ غـــابَ عـــن دنيـــا العروبـــة (دُرَّةٌ) أنجبـــت يـــا وطـــني ملايـــين الـــدُرَرْ

شعر محمد جادو شجاع ـ تشرين أول ٢٠٠٠ ميلادية

رابعاً ـ التبغيات ـ

هـذا البـاب في الـشعر الجبلـي او بـالأحرى في الـشعر العربـي الـذي يـصف مـضار التبغ ومنافعه ـ ويترك البعض يتغزل بالسيكارة والبعض يقبلها بحرارة فهذه خلود الشعلان تقول:

خلـــي حبـــك مثـــل ذبـــك للـــسيكاره لا تولـــع بهـــوى كـــل أجنبيـــة

والـ مايـا يأخـذ حبتـو بكـز وشـطارة كوبـه يـاللي تـشربوا عـالجوع ميَّـا

فهذا الموضوع الجديد على قلة الأشعار فيه يشبه باب الغزل أو المدح، أو الرثاء في الشعر العربي ـ إنما قصائده نادرة حتى كان الشاعر سليمان عبدي الأطرش يتغنى بالسيجارة وشكلها وتقبيلها فخلق حواراً طريفاً فريداً من نوعه حيث أجاد في الوصف وتسجيل بصمات التدخين على جسم الإنسان والصحة "يطلعك باش قحَّاح" ويجيد الوصف ومدح منظر السيكارة بين أصابع أو شفاه المدخنات، فهو يزهو بالسيجارة لما كان من المدخنين ثم يهجو ويحذر لما ترك التدخين وقد أجاد وأبدع في الحالتين خاصة بتعابير المجرب التي أوردها في الحالة الثانية وبالربط بين السيكارة والحب والعاطفة والغرام والجمال بين الجنسين.

وللشاعر سليمان الأطرش ثلاث قصائد في الموضوع هي:

١. نهي عن التدخين

أول عـــــذابك حرقـــــة النـــــار ليـــــدك
وثـــاني عـــذابكْ خـــشته مـــع وريـــدكْ

وثالـــث عـــذابك ينقـــصك مـــا يزيـــدك
ورابـــع عـــذابك خـــم فمـــك والـــضراس

وخامس عذابك يطلعك باش قحاح

الـــتتن يـــا معمـــي القلـــب مـــا يـــسلّيك
يحـــرق عظامـــك والـــدخاخين تعميـــك

ويحـــر كبـــدك بالـــصدى والتواعيـــك
ويـــدعي بزلعومـــك مثـــل صـــيحة الـــديك

خمـــسين فرشـــاي وثمـــانين كنّـــاس
مـــا نظفـــو صـــدرك مـــن أوســـاخ وكـــلاح

عـــاده قبيحـــة تجعـــل الرجـــل مملـــوك
صـــفرن ســـنونه مخبّـــث الفـــك وحنـــوك

كالمـــشحره مـــصبوغ فمـــه والفكـــوك
تعطـــل أحوالـــه وحـــسه يـــصير مـــدكوك

وباالليـــــل تــــسمع لــــشخيره والأنفـــاس

يغلـــي ولـــو يحكـــي كمـــا صـــوت ضـــبّاح

الـــ يــا حكـــي بالنـــاس بـــان الحكـــي جـــرش

ولّـــو غلامـــاً صـــار صـــوته كمـــا الهـــرش

هــــذا الــــذي بعاداتــــه يـــشبه الـــوحش

لـــو كـــان يملـــك مـــن جميـــع الـــرزق قـــرش

بيـــه اشـــتري دخـــان وأصـــبح بـــاالإفلاس

وخلّـــي عيالـــه بجـــوعهم لطـــم ونـــواح

الـــ يـــا مـــشي خـــش الـــتتن بالقلـــب خـــش

والـــ يـــا قعـــد فـــتح أعلابـــه ونفـــش

وإن لفهـــا بالتفـــل بلبـــل ورشـــرش

هـــذا الـــذي بيـــه مثـــل الكيـــف بـــالغش

بـــصعِّد الزفـــرات وبيقلـــق النـــاس

بنـــار مـــع دخـــان وقحـــاح وبحـــاح

هـــذا كمـــا النـــور لحـــاس مـــبرد

يلتـــذ بـــي دمـــو علـــى مـــا تعـــود

إن مـــر بـــين شـــفاف دخـــان أســـود

صـــفرن ســـنونو وصـــار وجهـــه مجعـــد

لــــو كــــان فــــضه صــــار بــــشكل النحــــاس

قــــذراً معطــــل أجــــرم الوجــــه بقــــراح

أنــــا انــــصحك يــــا صــــاحبي بطــــل التبــــغ

وارتــــاح مــــن صــــفرة ســــنونك مــــع الــــصبغ

ووفــــر علــــى كفوفــــك مــــن اللــــف والمــــرغ

ووفــــر علــــى ثيابــــك مــــن حــــروق مــــع دبــــغ

ووفــــر علــــى دمــــك نيكــــوتين تلــــذع

وخليــــك صــــاغ مــــن النظــــيفين ومــــلاح

٢ . عودة إلى السيجارة

قلــــبي تمنــــى آخــــذ اليــــوم باكيــــت

تركــــي أهــــالي والــــسجاير مــــذهب

أل يــــا فتحتــــه ريحــــة العطــــر شميــــت

يفــــرح دليلــــك قبــــل مــــا تــــصير تــــشرب

طــــول الــــسيجارة وولعــــه بعــــود كبريــــت

الــــ يــــا ولعــــت قبــــل مــــا تــــذب تطــــرب

فاحــــت بــــريح فــــاخر عطــــر البيــــت

ولا كمــــا عــــود مــــن النــــد واطيــــب

لـــو أن حبيبـــك بعـــد الفـــراق لاقيـــت

بـــوس الـــسيجارة مثـــل بوســـه واطييـــب

ولـــو أن ســـيجارة بـــدارس القـــبر حطيـــت

أضـــحى القـــبر يـــشبه لقـــصرٍ مرتـــب

شـــربه لذيـــذ يـــشتت الهـــم تـــشتيت

لـــو بـــالمرض هـــذا دواك المجـــرب

الـــ مـــا شـــرب دخـــان عـــده كمـــا الميـــت

والّـــي شـــرب لـــو كـــان شـــايب رجـــع شـــب

قـــل للـــذي بطـــل يـــدخن ســـيجاريت

روحـــت لـــذاتك بهـــا العمر تـــضرب

٣ ـ السيجارة رفيق الجنسين

قال يجيب الشاعر هلال عز الدين، الملقب بابي متعب: على قصيدة دعى فيها لترك التدخين:

يـــا شـــيخ (أبـــو متعـــب) ظلمـــت وتعـــديت

وســـبيت هلـــي مـــالكم حـــق ينـــسب

لا يـــا عجـــب كيـــف أن تجـــرأت وســـخيت

تـــدوس الحبـــق وتجعـــل المـــسك ينكـــب

قـــديش أحـــسن يـــا فتـــى لـــو داريـــت

ناســـاً مـــن الجنـــسين يـــا خـــي تـــشرب

الجـــنس الأول صـــاحب الفـــضل والـــصيت
هيـــــل الــــسياسة وللرئاســــات تنـــسب

(كــون)[1] الــذكي لــو لم يــدخن ســيجاريت
مــا كـــان لجـــروح الجبـــل يـــوم طبـــب

والجـــنس الآخـــر يـــا فتـــى الجـــود آســيت
عيـــون المهـــا هلّـــي كمـــا النـــد واعـــذب

لطـــــاف المعـــــاني لاباســـــات اليواقيـــــت
واصـــــباع فـــــضة للــــسواجير تقـــضب

وكفـــوف تـــشحط للـــسنا عـــود كبريـــت
نـــــاراً تفــــوح ونـــــار منــــه تلـــهَّب

مـــا عرفــت خــده، مــن ســنا النــار يــا ليــت
أيّـــــا لميعـــــا بـــــين الاثـــــنين أطيـــــب

مـــا أعجـــل كـــبرت وهـــدك الـــدهر وانـــسيت
هـــك الليـــالي الّـــي قـــضيته وأنـــت شـــب

يامـــــا بـــــذبها وشـــــربها فرحـــــت وغويـــــت
ويامــــا بعلبهــــا اللامعــــة كنـــت تطـــرب

ويامــــا ســــكرت وســــرك الليـــل وصـــحيت
ويامــــا فرحـــت وكنـــت للكيـــف تـــسحب

---

(١) كون: طبيب فرنسي برتبة (كابتن)، كان جراحاً ماهراً وقد تولى إدارة المستوصف المدني في السويداء، في زمن الانتداب الفرنسي خلال الثلاثينات وبدء الأربعينات.

ويامـــا تعبـــت وعـــن هموـمـــك تـــسليت

ويامـــا تعطـــر منّـــك الجيـــب والعـــب

الكيـــف أصـــبح بـــاليمن وأنـــت امـــسيت

بقطـــب الـــشمالي مـــشتت الفكـــر والقلـــب

يـــا شـــيخ شـــوف لـــك صـــومعة وأتـــرك البيـــت

ولا عـــدت عـــا حـــي الغنـــادير تقـــرب

وادعـــي لنـــا يـــا شـــيخ عـــالركن والبيـــت

ربـــك كـــريم يـــسامح العبـــد لـــو أذنـــب

٤ . لا تجرب مجرب

كان أول من رد على الشاعر سليمان، ابن عمه وزوج اخته صياح الأطرش، وهو شاعر رقيق واسع الاطلاع، بقدر ما هو مجاهد بطل ذائع الصيت.

رافق سلطان باشا الأطرش في حروب الثورة السورية الكبرى دون استثناء، على هضاب الجبل وفي سهوله، وفي حوران وغوطتي دمشق، ومرتفعات الجولان، وفي أقليم البلان وحاصبيا وراشيا في جنوب لبنان، ولازمه في هجرته خارج الأرض السورية إلى صحراء المملكة السعودية وإلى المملكة الأردنية، حتى عودة الثوار المُظفرة إلى دمشق في تشرين الأول ١٩٣٧ إثر عقد معاهدة انهاء الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان. توفي في قريته بكا في ١٩٧٧/٦/٢٤ بعد وفاة الشاعر سليمان بسبعين يوماً.

كان الشاعر صياح الأطرش مدخناً مدمناً، ترك التدخين دون رجعة، وقد اعتبر أن ابن عمه قد تحداه بقوله:

قـــل للـــذي بطـــل يـــدخن ســـيجاريت

روحـــت لـــذاتك بهـــا العمر تـــضرب

٥- فأجاب بالقصيدة التالية

يـــااللّي تمنـــى بـــآخر العمـــر باكيـــت

تركـــــي أهـــالي والـــسجاير مـــــذاهب

يـــا صــــاحبي عـــذاب قلبـــك تمنيـــت

مـــن عفـــن شـــربه كـــود قلبـــك تعـــذب

حتـــى جليـــسك مـــا طـــرب يـــوم عبيـــت

لـــو كـــان دليلـــه حـــين يلقـــاك يطـــرب

الـــتتن ييكـــت ناصـــح الجـــسم تبكيـــت

ينحـــــل عظامـــــه والمعـــــاليق تخـــــرب

يـــا هيـــه وأن كنّـــك عـــشربه تـــشافيت

لا شـــك عقلـــك مـــن دماغـــك تمـــذهب

بـــآخر زمانـــك كـــود تغـــدي كمـــا الميـــت

تـــسعل ونـــــاراً بـــــي حواســـــك تلـــــهب

إن طعـــت شـــوري قـــول عنـــه اســـتغنيت

اتـــــرك حبالـــــه ولا بحبـــــه تقـــــضّب

أنـــا أنـــصحك حيـــث أن بـــشربه تعانيـــت

شـــــربه مـــــضر ولا تجـــــرب مجـــــرب

٦ ـ المدخن عدو نفسه

وانبرى للرد على سليمان الأطرش شاعر آخر هو هلال عز الدين. من قرية الثعلة غربي السويداء وهو أيضاً من شعراء الجبل البارزين، تبوأ مركزاً هاماً في مجلس رئاسة أركان الثورة السورية الكبرى وبقي قريباً من القائد العام سلطان باشا الأطرش مخلصاً له على ساح المعركة وفي زمن المحنة والهجرة بعيداً عن الأرض السورية، حتى العودة المظفرة لدمشق في خريف العام ١٩٣٧.

وقد تبادل الشاعر هلال عز الدين مع صديقه سليمان الأطرش قصيدتين حول مضار الدخان وإغراءاته، قال في الأولى:

يـــا هيـــه يـــا مـــن تـــشتهي شـــرب باكيـــت

دخـــــان يغـــــري الـــــنفس لنّـــــه مـــــذهب

عطـــــره ســـــقطري ســـــم بحـــــشاك غليـــت

وتحـــــس أثـــــاره بعـــــدما تـــــصير تـــــشرب

تطـــــرب اليـــــا ولعتـــــه بعـــــود كبريـــــت

وحـــــراق كبـــــدك مـــــن لظـــــى النـــــار أقـــــرب

عطـــــره وريحـــــه ونـــــده بـــــداخل البيـــــت

لنّـــــه كمـــــا حـــــصن الـــــسموأل، يخـــــرب

لمـــــسه ولفـــــه وطعمـــــه أن كـــــان حـــــسيت

لـــــذه عواقبهـــــا كمـــــا الـــــسم وأعطـــــب

لـــــو أن ســـــيجارة بـــــشفا الفـــــم ذبيـــــت

فحّـــــت أنفاســـــك ريحـــــة القـــــبر وأكـــــرب

شـــربه وقربـــه يـــدعى للحـــي كالميـــت

داءً يفـــت الكبـــد كـــسم عقـــرب

أقـــبح طريقـــه للجـــسم كـــان ســـويت

صـــدرك وعـــا دخـــان منـــشان تطـــرب

صـــبغه علـــى قلبـــك كمـــا القـــير حطيـــت

يعبـــق ســـناها وســـط الأنجـــاد تجـــرب

قحـــة وبحـــة وآخـــر الليـــل عويـــت

تخـــسر لعمـــرك دون مـــا شـــيء تكـــسب

لـــو أن نفـــسك عـــن هـــوى الـــتتن عفيـــت

مـــا كـــان ظهـــرك تـــالي العمـــر أحـــدب

أســـير نفـــسك لأحقـــر النـــاس دنيـــت

شـــحاذ لنّـــه مـــا كـــلا الـــزاد يكلـــب

قـــل للـــذي ينقـــاد للـــتتن ولّيـــت

أدبـــر زمانـــك وأنـــت مملومـــك، تـــضرب

لـــو أن تقابـــل حـــاكم العـــدل وصـــحيت

يحكـــم علـــى مـــن يـــشرب الـــتتن أجـــدب

٧ . لا تلبس الضبية جلد ضب

ورد هلال عز الدين على القصيدة التي أرسلها له سليمان الأطرش (الملقب بأبو حسن) والتي مطلعها:

((يا شيخ أبو متعب ظلمت وتعديت...)) بالقصيدة التالية:

يـــا بـــو حـــسن مـــا قـــط عمـــري تعـــديت

وســـبيت مـــن هـــو مـــا بـــه شـــيء ينـــسب

مـــا هـــو عجـــب لـــو أنـــني اليـــوم جريـــت

ســـيفاً علـــى جـــيش الظلـــم حـــق ينـــصب

أمـــا العجـــب تـــشبيهكم مـــسك بالبيـــت

للتبـــغ حـــين تـــشمه النـــاس ينكـــب

إن كنـــت مغـــرم بـــألطف الجـــنس وغويـــت

مـــالاق بـــي تلبـــيس ضـــبيه جلـــد ضـــب

(كـــون) الحكـــيم اللّـــي يـــدخن ســـيجاريت

خـــالف نظـــام الطـــب مـــن ذاك أغـــرب

كـــم غـــادةً قالـــت برأيـــك تحـــديت

غيـــداً طعـــم سلـــسالهن شـــهد وأعـــذب

إن كنـــت للجنـــسين بالقلـــب وديـــت

انـــصح لهـــم عـــن صـــالح الجـــسم يخـــرب

مـــا أنـــت هلّـــي أول النـــاس شـــنّيت

حربـــاً علـــى التنبـــاك بجـــد أحـــدب؟

مــــع أوليــــا الــــشيطان حقــــاً تباريـــــت

والنــــصر كـــان بجانبـــك وأنـــت تطـــرب

مـــــالي أراك اليـــــوم عــــن ذاك شـــــتيت

بلجّـــــة غـــرام الـــتتن أصـــبحت تنـــدب

مــا عــدت تــذكر مــا ذكرتــه لنــا وجيــت

تنــــصح لنـــا بــــصومعة نـــروح ننكـــب

ادعـــي لكـــم مـــن داخـــل الـــركن والبيـــت

إن الإلــــه يعيـــــد نفـــسك إلى الطــــب

وقلبــــك يـــوالي مـــن لــــه الحـــي والميـــت

خــــالق جميـــع النـــاس للكـــون هـــو رب

٨ . السيجارة مصدر وحي وإلهام

وانتصر لسليمان الأطرش الشاعر الشعبي سلامة كرباج من قرية أم الزيتون شمالي الجبل، من المجاهدين القدماء، الشهير بظرفه وخفة روحه، فرد على هلال عز الدين بالأبيات التالية:

يـــا هـــلال ثـــاري فكـــركم خـــربط الـــراس

قـــــدرك رفيعـــــاً والعنابيـــــك مـــــا زل

يـــا صـــاحبي أودعـــت بالقلـــب هوجـــاس

مــــن قولتـــك أن التبــــغ آخــــرو يعــــل

تطـــرب إذا شـــربت الـــتتن حـــد محمـــاس

بغرنوقـــــةٍ بعـــــد الغلـــــي ماءهـــــا زل

إن طعـــتني يـــا هـــلال اشـــرب ولا بـــاس

لـــو تمـــضغ الـــدخان عنـــك الغثـــا فـــل

دخـــن اليـــا صـــرت بغثـــا وفيـــك وســـواس

يفـــــرج لـــــك الله بـــــساعة مـــــا بهـــــا ذل

أليـــا صـــرت ترســـم بـــالقلم فـــوق قرطـــاس

دخـــــن ســـــيجارة تـــــشوف للقـــــاف ينهـــــل

يـــا هـــلال لاقيـــت الـــتتن يطـــرب النـــاس

ولا صـــرت وحـــدك هـــو تـــرى الكـــل بالكـــل

٩ . الرفيق الغادر

أما الشاعر الشاب سعيد أبو صعب: الضابط في الجيش العربي السوري، وهو من المجيمر قرية سليمان الأطرش. فله حوار شعري مع ((السيجارة)) يصف فيه شدة تعلقه بها، ومبادلتها إياه بالعقوق والغدر، ويعلن اتخاذه القرار بهجر ((التدخين)) دون رجعة، على الرغم مما سيكلفه ذلك من عذاب ودموع، يقول الشاعر سعيد:

مـــا لـــك علينـــا لا ملامـــه ولا عتـــب

انـــت الـــذي بفراقنـــا كنـــت الـــسبب

مـــن يـــوم مـــا عرفتـــك فـــردت لـــك مكـــان

فـــوق القلـــب أغلـــى مـــن وســـام الـــذهب

مــــن يـــــوم مـــا عرفتـــك فردتلــــك مكـــان

فـــوق القلـــب مـــسجي علـــى نغـــم الحنـــان

وبكـــــل رقـــــة تلامـــــسك روس البنـــــان

وبتنقلـــــك عــــالفم يهــــديك القبــــل

إن طــــــاب كيفــــــي أو تمـــــالكني الغــــضب

وبتنقلـــــك عــــالغم يهــــديك القبــــل

قبلـــــه علـــــى فبلــــه ولا جــــاني ملــــل

كنـــت الهـــوى في خــــافقي وكنـــت الغـــزل

كنـــت الهنـــا كنـــت المنـــى كنـــت الغـــرام

كنــــــت الأليـــــف بوحـــــدتي كنــــــت الأرب

كنـــت الهنـــا كنـــت المنـــى كنـــت الغـــرام

كنــــت إن غبـــت عـــــني تـــيمني الهيـــام

مــــالي علـــى بعـــدك جلـــد مــــالي زمـــام

مــــا لـــــي صـــبر وبهـــوم مـــن غـــير الـــوعي

وبحـــــــس نــــــار بمهجـــــتي تلــــــهب لهـــــب

مــــا لـــــي صـــبر وبهـــوم مـــن غـــير الـــوعي

وبجـــــــد لا لاقيـــــــك وبزيـــــــد الــــــسعي

كــــم مـــن ســـديد الـــرأي قـــد حـــاول معـــي

تانـــــساك وأنـــــسى كـــــل أيـــــامي معـــــاك

مـــا كنـــت أقبـــل لا أحـــد مـــنهم طلـــب

تانـــساك وانـــسى كـــل أيـــامي معـــاك

قبـــل أن غرامـــي فيـــك يوصـــلني الهـــلاك

كـــل مـــا تهـــوني زاد وجـــدي في هـــواك

يـــا ريـــتني قبلـــت النـــصيحة وانتهيـــت

مـــن قبـــل مـــا غـــدرك علـــى قلـــبي غلـــب

يـــا ريـــتني قبلـــت النـــصيحة وانتهيـــت

مـــن قبـــل مـــا نـــارك كـــوتني وابتليـــت

آه يـــا رفيـــق الـــشوم قـــل لـــي شـــو ســـويت

بـــــاديتني بـــــدل المـــــودة بالنكـــــال

وعملـــت لـــي وســـط الحـــشا قـــروح ونـــدب

بـــــاديتني بـــــدل المـــــودة بالنكـــــال

وســـــببت لا جـــــسمي مواجيـــــع وهـــــزال

وورثـــت لـــي أبـــشع تـــرانيم الـــسعال

وخليـــت قلـــبي يفـــر كـــالطير الـــذبيح

ويـــرقص وســـط صـــدري مـــن شـــوية تعـــب

خليـــت قلـــبي يفـــر كـــالطير الـــذبيح

وفي مـــضجعي بالليـــل تـــسمع لـــي نبـــيح

حتـــى الـــضنا عملـــوا مـــن جـــواري نـــزيح

وجـــيران بــــيتي ولولـــوا وعملـــوا نفــــير

وخلـــــي الـــــوي في بمودتــــو، عـــــني انــــورب

جـــيران بــــيتي ولولـــوا وعملـــوا نفــــير

ونفـــسي أنـــي مـــن حـــالتي خفـــت المـــصير

روعـــتني يـــا غـــادري مـــن هالـــصفير

كنـــو الرغـــامي صـــار صـــافرة خطـــر

تنـــــذر حيـــــاتي بالأجـــــل وعـــــدو اقـــــترب

كنـــو الرغـــامي صـــار صـــفارة خطـــر

مـــن قبـــل ذا هجـــرك عبـــالي مـــا خطـــر

روح انتحـــي قلـــبي علـــى الفرقـــة انفطـــر

قبلـــك جفـــاني كـــثير خـــلان الوفـــا

وصـــبر الـــنفس مجبـــور عـــا هلّـــي انكتـــب

قبلـــك جفـــاني كـــثير خـــلان الوفـــا

أمـــا أنـــت بكـــير عكـــرت الـــصفا

حزنـــي عليـــك كـــبير مـــا عنـــدي خفـــا

مـــا كـــان بـــدي فارقـــك طـــول الحيـــاة

مـــن قبـــل مـــا ينـــوش الجـــسد دود الـــترب

مـــا كـــان بـــدي فارقـــك طـــول الحيـــاة
فراقـــك دعـــا دمعـــي علـــى خـــدي قنـــاة

يـــا ســـامعين الـــصوت لبـــوا لـــي وصـــاة
حطـــــوا ســـــيجارة عالمنيـــــه بـــــالكفن

يمكـــــن تفـــــرِّج باللحـــــد عـــــني الكـــــرب

١٠ ـ وداع السيكارة !

للشاعر عيسى عصفور

وداعـــاً وفي الـــصدر نـــار الغـــضا   وفي الـــنفس مـــني شـــديد الوجـــل

وكيـــف الـــوداع وقـــد كنـــت لـــي   عـــزاءً إذا مـــا غزانـــي الملـــل

وكيـــف قـــلاك وكـــان هـــواك   يطـــير بروحـــي لأعلـــى مثـــل؟

ألـــست رفيقـــة عهـــد الـــصبا   وحليـــة دور الـــشباب الخـــضل؟

وكـــم ســـاءني أن تـــذوبي اشـــتعالاً   ليؤنـــسني جـــسمك المـــشتعل

غنيـــت بقربـــك عـــن ذا الـــورى   فكنـــت الحبيـــب الـــذي لا يمـــل

إذا مـــر طيفـــك في خـــاطري   ترنحـــت فعـــل المحـــب الثمـــل

وأغفيـــت في ســـكرة المـــستهام   أســـامر أشـــباح مـــاضٍ رحـــل

وإمـــا ســـكبت علـــى شـــفتيك   رحيـــق الأمـــاني وعـــذب القبـــل

علـــوت بنفـــسي علـــى العاشـــقين كــــأني أطـــاول هــــذي العلـــل

فـــديتك لـــو أن مــــا تنفـــثين مــــن الـــسحر كـــان بهـــي الحلـــل

فـــديتك لـــو أن مــــا تلـــهمين مــــن الـــوحي كـــان طويـــل الأجـــل

فـــديتك لـــو لم يقـــدني إليـــك غــــرور اشـــباب وحـــب الكـــسل

ولكـــــن آراك تنكـــــرت لـــــي والهيـــتني عـــن مجيـــد العمـــل

وأورثـــت نفـــسي جفـــاء الحيـــاة وأرهقـــت جـــسمي بـــشتى العلـــل

وثقـــت بـــودك هـــذا الزمـــان فألقيـــت نفـــسي حليـــف الخبـــل

هجرتـــك لمـــا أبيـــت الوفـــاء لعهـــدي هجـــران مـــن لـــن يـــصل

وإن الفـــراق يـــذيب القلـــوب مــــن العاشـــقين ويـــدمي المقـــل

ولكـــن حـــداني إليـــه الجهـــاد وعـــزم الـــشباب الـــذي لا يفـــل

١٩٤٣

خامساً ـ قالو في الحياة الأجتماعية

من قصيدة نواف أبو زيد

مخمس مردوف

جفاء العمر

سـعدي جفـاني والجفـا زوم خَلِّـي

جنيـت عللـي مـا جنـى يـوم عَلِّـي

والـشيب هلـي مزهـفٍ يـوم هَلّـي

ولا جـال يـا صـاحب زهوفـه علـى بـال

القلـب عـني ولا نـشد مـين عـني

ولا نفـع فـني بالـدهر يـوم فـني

ضـيمي مكـني ضعت أنـا اليـوم كـني

كنـه حمـولٍ مـا يلـي والـدهر مـال

الظـل ظلـي دربـه اليـوم ظلـي

سـلي بحـالي والـدهر شـين سـلي

لفـوق علـي مـاره اليـوم علـي

وأضـرم بنـار واللظـا زايـد شـعال

جافيـــت مـــرة لوعـــة الـــبين مـــرة

مـــن حـــر حـــره مكتـــوي بنـــار حـــره

مـــن بـــاح ســـره مـــا لقـــى مـــين ســـره

دومـــــه براجــــل مـــــشتهي يـــــوم خيـــــال

الـــدهر يـــومي ولا عـــشت خـــير يـــومي

للخـــير نـــومي جـــا في العـــين نـــومي

فـــاهي كلـــومي والقلـــب بكلـــومي

وكثـــر اللغـــا لـــبعض المخـــاليق راس مـــال

قصيدة مخمس رد على الشاعر نواف أو زيد — للشاعر جادو نصر

الـسعد صـدّي ومـا بـه اليـوم ردّي — ودّيـــت ودّي للخـــوي خـــاص ودّي

عَ كـل ردّي مـن القلـب هـاك ردّي — تالي العمر يا صاح منحاه بخطوب

الـــــشيب هـــــدّي وانتحينـــــا علـــــى جـــــال...

الـــنحس هلـــي عالمخـــاليق هلـــي — للقلـب علّـي وحـط بـالجوف علّـي

يـا طـير علّـي ورفـرف وحـوم علّـي — قطـر الندى ما عاد جاها بالجنوب

عـــــم الجفـــــاف بربعهـــــا والـــــدهر مـــــال...

الـسعد كنّـي وفاقـد الأمـل كنّـي — عنّيـت عنّـي إدبـر الـسعد عنّـي

الـسود جنّـي مـا بقـا عـاد جنّـي — سـود الليـالي حـدرتنا علـى صـوب

هـــــوة ســـــحيقة ومـــــا بقـــــى عـــــاد ننـــــشال...

القــدر حــالٍ وغيَّــر الــدهر حــالي الهــم جــالِ وصــال فينــا وجــالِ

الحبـل حـالِ ومقـدم الـرّاس حـالِ كـود الـصبر مطلـوب يـا خـوي

لعــــل ربــــك يبــــدِّل الحــــال بــــاحوالِ...

الـضيم دامــي مــا عمــرهم دامــي الفكـر هـامي كلـل الـشيب هـامي

بيـوت الأدامــي مــا بــه اليـوم دامــي القحط عمّ السهل والجبل وسهوب

صــــكّت أبوابــــه والــــبلا صــــار ينهــــال...

من بعد عزّي صرت أنا النفس عزّي بعــد الملــزّي لزّنــا الــدهر لــزّي

الخــير نــزَّي والمكــارم تنــزّي زاد الـبلا كثـر المفاسـد والعيـوب

النــــار جــــوّات الحــــشا تــــشعل شــــعال...

الـبلا جـاني ولا كنـت يـوم جـاني والخلـل بـانِ ومـا بهـا حـد بـاني

الـبعض فـانِ وبـاقي العمـر فـاني واشـوف ميـزان العـدل صار مقلـوب

وشــــوف غــــدرات الــــزمن تهــــذل هــــذال...

مـا بـه وناسـي تغـيرت حـال ناسـي الـزرع قـاس والـزمن حيـل قاسـي

الهـم راسـي بالـصدر عقـب راسـي مرسل تحيـة خالـصة ضمن مكتـوب

مــــا ظــــن يــــنهض شــــيلنا بعــــد مــــا مــــال...

(سليمان لك منّي وصاية عديده)

وهذه قصيدةٌ للشاعر أبي جابر محمد رضوان رحمه الله يوصي بها ولده سليمان:

سـليمان لـك منّـي وصـايا عديـده تبقـى الحياة ويوم مـا تـشوف الأكـدار

ربَّـك علـى كُـلِّ العـوالم شـهيده يـا مـسندي المعـروف خلّـه لكـم كـار !

الأوّلـــه خلّيـــك حــــرّاً فريـــده لا تعــتني بالهــذر، يــورث لــك العــار

لا تــستغيب النــاس بالــك تحيــده عــن تقــوى ربِّــك يجعلــك دوم صــبَّار

والثانيـة لـو كنـت حاضـر حـشيده إهــرج كــلام الــصح وايــاك تنهــار

وأن حوضـبت بالــك تخـلّ الوعيـده خلّيــك صــامد عنــد نفــذات الأقــدار

والثالثـــة اتبـــع رايـــات الـــسديده وأن نابتـــك الأيـــام لا تكـــون مِهـــدار

خلّـك رزيـن ولـك فعايـل مجيـده العقـــل تـــاج المـــرء في كـــلِّ الأدوار

والرابعـــة لا تكـــون رجـــلاً عنيـــده ســاير جميــع النــاس واتبــع للخيــار

واحـذر مـن النمَّـام واصـحا المكيـده إقـضب حقـوق الطايلـة واحفـظ الجـار

والخامـسة لـو صـار مالـك عـضيده رافـق هـل الوجـدان واشـفي علـى الطـار

واحـذر مـن الخبنـات واهـل الزهيـده واتعــب علــى الحــسنات لا تكــون غــدّار

والـــسادسة الـــصِدق خِلّـــه مُفيـــده والكـــذب يهـــزر لا كبـــاره والـــصغار

لا ترتــضي بالــذُّل وأرقــى الــصعيده درب الخنـــا إيَّـــاك يرميـــك بقـــدار

السابعة لو كنت تبغى المُفيده إحرص لنفسك عند هفوات الأشرار

كم واحدٍ بالناس يبغى الخريده لا تعتني لو صار لونه كالقمار

الثامنة لا ترضى في عبيده وتترك رضى المعبود حاصي للأعمار

واقضب حبالو مِنَّهُ تستفيده لو تضربك يمناه يلقى باليسار

التاسعة إحفظ عهود الوديده خلَّك رزين ودوم كاتم الأسرار

وايَّاك ثُمَّ أيَّاك رفقة شريده يقضي حياتو يرتقي دمنة الدار

العاشرة خليك نِعمَ الحفيده وإتبع مزايا الطيب خلّيك مغوار

هاها وليدي أيّاك توثق بغيده بعد الطلاوي تذوق زومات المرار

حُكم القدر لِكُلَ عبدٍ يبيده خَلّك فريز وراح منقبلنا كثار

انظر ملوك الماضيه والجديده كلَّه تزول وماش باقي سوى البار

اختمتها باسم الإله الوحيده يشفع لنا في يوم يحسب عالقطار

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

(قال الأديب بيوت معناها الأدب)

ذات يوم كان المغفور له شبلي الأطرش يقوم بزيارة لقرية صميد وتجمع وجهاء البلدة للترحيب به في مضافة معهودة وبعد العشاء طلب الحضور من السيد أبي حسن فهد الفهد ن وهو شاعر معروف، أن يهرجهم فقال هذه القصيدة:

قـال الأديـب بيـوت معناهـا الأدب	تفهـم بهـا أهـل المعـاني والرتـب
لا تحقـر الإنـسان هـل مـا تبخنـو	كـم جـوهر مخـزون لحـين الطلـب
الـشهد يجـني مـن حقـيرات الجـسد	والـدر يوجـد مـع أوادم تنتخـب
الـدفلى فـلا ترهـي بـزوم طيـب	والحنظلـة مـا تـصير قطـراً ينـشرب
يـا غـالي الـدفلى وترجـى طيبهـا	مـا تجـتني إلاّ مـراراً ووصـب
والجـوهرة مـا هـي شـبه صـم الـصفا	والفلـس مـا عـادل أوزان الـذهب
والطيـب يوهـب مـن كـرم رب المـلا	مـادل عانـشط شـباب ولا الـسبب
ولا كـل مـن مـات بالـدنيا انفقـد	ولا كل من قد عاش بالدنيا انحسب
والمـرء لا يولـد بعقـل وافـر	بعـد الـوعي عقـل الأوادم مكتـسب
عاشـر خـواص النـاس تـربح مـنهم	وابعـد عـن المنحـوس خلـك عاجنـب
الـدبس مـا هـو مـن زنـابيط البـصل	والجـوهرة مـا هـي مـن فحـم الحطـب
الفحـم مـا عقـب الـسواد إلاّ الرمـاد	والـدبس يـأتي مثـل عنقـود العنـب
البـاز مـا هـوي مثـل طـير الـرخم	والمعنقـي مـا هـو مـن كـدش الجلـب
كـم واحـده ورده زهيـة زاهـرة	مـن جـب شـوك لا إفـادة ولا انقـصب
كـم واحـدٍ أهلـوا أصـايل جيـده	يطلـع مثـل بغـل الـشموس ليـا ضـرب

والخلـق مثـل الخيـل في يـوم الـوغى والغانمـــة اللـــي بأفعالـــه تنتـــدب

كم واحدة تطلع[1] راعيها من العدى وكـم واحـدة يخـسر عليقـه والتعـب

نـازل نقـي الجـسم محمـود الخـصل وابعـد عـن اللـي دوم جـسمو بـالجرب

إيـــاك تـــأمن جـــال وغـــد كـــاذب يـضرب عليـك أن مـا قـدر بيـدو ضـرب

هـــذي معـــاني مثـــل در منـــضّدي ومنقحـــه فـــوق الطلاحـــي تنكتـــب

من بعد ما اخطينا نصلي على النبي قـضاب حبـل الله يغلـب مـن غلـب

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

(يا رب يااللّي عالياً بالسما فوق)

هذه قصيدة شروقيّة للأديب أبي نايف علي سيف الدين القنطار يتطرَّقُ فيها إلى ما عرفه من طبائع البشر وأخلاقهم، فجاءت نصائح من رجلٍ حكيم عُرِف بتوقد الذهن وبُعد النظر، ولقد طاعت له الكلمة حتى بدا وكأنَّه يغرف من بحر.

يـــا رب يـــاللّي عاليـــاً بالـــسما فـــوق يـا حـي يـا مـدير الـسحايب بـالفلاك

إنـت الكـريم ومـسعفاً كـل مـضيوق وحنّـــا عبيـــدك دايـــم الـــدوم نرجـــاك

القلـب ضـايج والـصدر صـار مطبـوق والعـــين عِـــدَ بموقهـــا مقـــوس شـــواك

وعـدّي علـى حَـر النيـارين مطـروق ولا طـــريح الحـــبس مـــن لابـــة تـــراك

(١) تطلع راعيها: معناه هنا تنقذ فارسها من أعدائه بسرعة جريها.

مـــن جــور أيـــام بهـــا الـنـــذل مطلـــوق   والحُـــرّ فـــوق القيـــد مغلـــول بـــشراك

راعي السبق بعد السبَق صار مسبوق   وراعـــي الهكيـــب لـــشارد الـــصيد دَرَّاك

والنـاس بـيهم، لـو تأمَّـل، أبـو الـذوق   شـــاف العجايـــب والنكايـــب والأريـــاك

والكُـل، قبـل المخـبرة، مثـل صـندوق   بعــد الخــبر تلقــا بهــم مثــل مــا جــاك

بـــيهم كريمـــاً وافيـــاً حلـــو منطـــوق   زينـــة خـــصالو تعجبـــك يـــوم وافـــاك

وبـيهم حـسود وشـيمتو الغـدر والبـوق   حلـــو الحـــديث وحقـــة الطبـــع بريـــاك

وبيهم شجاعاً ما خِشي حمية السوق   وبـــيهم جبانـــاً بالـــسلم دوم لوفـــاك

وبـــيهم رديٍّ طبـــاع والأصـــل بنـــدوق   يوهمِـــك حُبَّـــاً صـــادقاً يـــوم يلقـــاك

ولا غـاب أفعـى سمَّهـا يقطـع الـروق   وليـــاً حـــضر يأتيـــك في منظـــرٍ بـــاك

وبـيهم كلامـو صـجَ للنـاس بيلـوق   وبـــيهم أبـــو وجهـــين هـــذا وهـــذاك

بـــيهم خوّيَّـــك طالمـــا ليـــك محقـــوق   ولا بـــان حقـــو عنـــدك يريـــد يـــولاك

وبـيهم أخـو فعـلات مـا يراعـي حقـوق   طمَّـــاع لا تـــساويه مـــا قـــط ســـاواك

وبـــيهم بطـــون الـــزاد تـــراه لاحـــوق   فـــضّاح وإن مـــا شـــبعته يـــرد يـــشناك

وبـيهم بغيـضاً حقـود القلـب حريـوق   جاحـــد جميلـــك وإن عـــلا بيـــك وطّـــاك

وبـيهم لياعـازك يجـي مثـل مرهـوق   ويحـــبَ عالوصـــله يمينـــك ويُـــسراك

وليـا اغتنـى يرميـك بـصرية حلـوق   ويـضربك لـو قفيـت وان طـاع محبـاك

بـيهم لياتراعيـه يـشمخ علـى الطـوق وبـــيهم ليـــا عينـــك تراعيـــه راعـــاك

وبـيهم أخـو جهـلات بالغُـشُم مرفـوق يـدعي الفهـم عـا أعقـل النـاس ضـحّاك

هـذي صـفات النـاس للـي عنـا الـشوق إفهـم حـديثي ومُنتهـى القـول حـذراك !

حـــذراء نمـــامٍ علـــى الـــوهم مخلـــوق يوهِمِـــك حُبَّـــاً ثـــم يرميـــك بعـــداك

حـــذراك أبـــو غايـــات لوصـــولها يتـــوق وليـــا تـــسنَّم ظهرهـــا قـــول: عـــاداك

أدّب أفكـــارك خـــل بالعقـــل مربـــوق وقبـــل التجريـــه لا تعطـــي الـــسّرَ إيّـــاك

لا تـــآمن النـــادوس يرميـــك بعبـــوق ولا تـــصاحب الخـــوّان لوقعـــت خَـــلاّك

ولا تقـــضب دروب المحـــيلات وفـــسوق مـــن يتبـــع البوقـــات بـــالإثم يلثـــاك

إتبـع طريـق اللـي بهـا الخـير مغـدوق ولا تـــضارب الغافـــل هقيَّـــاً بيمنـــاك

عاشِـر خيـار النـاس كمـا بهـم حقـوق وخلـــي خيـــار النـــاس مثلـــك وشـــرواك

اخـــتم بِـــ حَمِـــد مـــن لجاليـــه مـــرزوق ربٌّ كفـــى وحـــوش الـــبراري والأســـماك

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

(البارحة كن حارب النوم عيني)

وهذه المخمسة له أيضاً في سبب إختلال المواعيد فقال:

البارحـــة كـــن حـــارب النـــوم عـــيني عـــدّي حمـــول مـــن البلايـــات عـــيني

الـــدهر ميّـــل بـــالموازين عـــيني ومـــن الهجـــس أصـــبحت بينـــار توقيـــد

واقــضي الليــالي في تحاســيب وهمــوم

مــن اللّــي جرالــي تــاه عقلــي بالفكــار عـــدّي حريـــق محيّرينـــه بالفكـــار
مـشطوف أنــا مــن يــوم صــار البلفكــار يتـــصيدون النـــاس بيـــه الملا صـــيد
ويرجّعونـــــه بتناكيـــــد وغمـــــوم

مـــن بعـــد ذا ياراكبـــاً فـــوق حُـــرَّه منـــوة رغيـــبٍ للـــسفر بيـــه حَـــرّه
مــا تهــاب لــيلاً دامــس وضــحو حــرَّه دونـــك كلامـــي مـــسطّراً علاكواغيـــد
ومزيّنـــاً مـــن أعـــذب الهـــرج مرســـوم

هاهــا تــولّم لــي مــن الــصبح سـرَّاي يــا شــوق هلّــي شــوفَهَا القلــب ســرّاي
ليـا جيـت مـشحى صـويحبي بُـحَ بـسرَّاي الـــصاحب اللّـــي خـــبَّلن بالمواعيـــد
وخّلانــي مــن بعــد الثقــة بيــه مــشلوم

يــا زايــداً عاجُملـــة النـــاس كِـــلاّ قلـبي ضـجر يــا صــاح والــذهن كَــلاّ
أوجــس بقلــبي والحِــشا فقــع كــلاّ يـــومٍ لفـــالي علمكـــم بالتواكيـــد
البــوق ســقتونوا علــى غــير مــا نــروم

بعــد الوعــود الخاليــا مــن أساســا عـــدتوا هـــدمتوا حيطنـــا مـــن أساســـا
الله بهـــذا يخـــون كـــل مـــن أساســـا يــا عَــلّ مــا ينجــا مــن الــشّر والكيــد
يــا صــاحبي ذكــرك كتبتــو عــاقلبي مـــار ببوقـــك تـــو مـــا ظـــل عقـــل بـــي
مثــل الهجــن بيــوم شُــدَّن عقــل بــي صَــدَّك عقلــني وأمكــن الرِجــل بالأيــد
ليامــا غــديت مــن التفــاكير مــسقوم

بعد عودة سلطان باشا الأطرش من الصحراء سنة ١٩٣٧ زاره الشاعر حامد العقباني وقال بمدحه قصيدة عصماء نقتطف منها هذه الأبيات:

يا راكب اللّي تقطع الدو ومطوخ عوصه على قطع الفيا في قناتك

بس أنت جديها بعصا لوز أو خوخ وخلي القريا يا رسولي مباتك

لو تمطر على البيدا باشوات وشيوخ فالكل منهم برعاية وصاتك

لو وزنوا القليب كله فرى جوخ بكفة الميزان ترجح عباتك

لو تجتمع عربان بدوان وتنوخ تبقى عمود المجد أنت بذاتك

جادو نصر يمدح قصائد الشروقي ويفتخر بالعشيرة التي تغنيه وتعتز بها...

كلّفت أنا محرر تواريخ الأهرام يسطّر تاريخاً للشروقي على ساس

يسطر تاريخاً به دلالات وأرقام ويذكر مواضي جدودنا وجملة الناس

لما تغنوا بيه عاشوا بالأنعام هذا قصيد اللّي على الخيل فرّاس

كانوا أهلنا بأول الظعن قدام نقالة الموزير بكل متراس

أما سمعت شعارهم يوم دحام ولا سمعت القول لعبيد ودباس

يا ما حلا صوت الربابة والأنغام يعزف عليها شاعر يرفع الراس

يعزف عليها زوبعي كل مقدام وفنجان بنٍ يطرد النوم ونعاس

مـــع قـــول شـــبلي وزيـــد ومنـــصور عـــزام   ومخمّـــس مـــردوف لـــنجم عبـــاس

بـــسهرة مـــا بـــه ســـوى أخـــوال واعمـــام   ومـــضافة بيهـــا الخطـــاطير جـــلاّس

وســـوالف الـــشعلان مـــن دور ســـطام   والـــبن تعبـــق ريحتـــه فـــوق محمـــاس

يامـــا أهلنـــا بـــدلوا قـــصور بخيـــام   يـــوم العجـــاج وخـــالط الجـــو حنـــداس

كـــانوا ســـيوفاً للعروبـــة والإســـلام   تـــشهد لهـــم بالمزرعـــة الكفـــر ورســـاس

ومهـــار مـــن خـــاص الرمـــك تـــرزم رزام   يـــا مـــا أعتلـــى بـــسروجهم كـــل جرنـــاس

تـــرى الـــشروقي يطـــرب الخـــاص والعـــام   يأتيـــك مـــن حايـــل كمـــا الـــذهب والمـــاس

مـــع شـــاعر مـــن نجـــد مطـــير أو يـــام   شـــروقية مرقومـــه فـــوق قرطـــاس الأمـــير

تحكـــي لنـــا عـــن قـــصّة فهيـــد ودهـــام   اللّـــــي قـــــضى ع ابـــــن مـــــرداس

مـــا حنـــاش ضـــد الـــبحتري وأبـــو تمـــام   ولا إحنـــا ضـــد الأخطـــل وأبـــو نـــواس

ومعلقـــات الـــشعر بالكتـــب وأقـــلام   تلقـــاه مثـــل الزهـــر أنـــواع وأجنـــاس

الـــشعر الأصـــيل يـــدوم مـــع طـــول الأيـــام   هـــذي مواهـــب للمخـــاليق مقيـــاس

يامـــا لنـــا بأفـــصح الـــشعر إلمـــام   إن كـــان شـــعر النابغـــة وأبـــو نـــواس

مـــن بعـــد ذا ليـــك التحيـــة بالأختـــام   ويبقـــى الـــشر وقـــي كاســـباً كـــل نومـــاس

الفصل ا امس

قصائد تغنّى

الشعر العربي عبارة عن قصائد شعرية مختلفة الأوزان والأغراض (المدح ـ الرثاء ـ الغزل ـ الوصف ـ الهجاء....) وكثير من هذه القصائد تُغنَّى، خاصة ما كان منها على بحر الرجز أو الكامل وما كان منها باللغة المحكية محلياً "العامية" والتراث الشعبي في الجبل زاخر بهذا النوع من القصائد التي تُغنّى إفرادياً على الربابة مثلاً كالمطلوع والشروقي والعتابا، أو جماعية: كالجوفية، والهولية، وقصائد الفن.

تقدم هذه الأغاني بشكل عام أفكاراً كبيرة واسعة وبسيطة، بنبرات نبيلة وحميمة لها وقع خاص وجمالية مميزة، تسجل الوقائع التي يعيشها الناس ببساطة، وتطرح القيم والأفكار والمطاليب بصدق، لأنها ترتبط بالجذور الاجتماعية التي تقوم على الحق والواجب والدفاع عن حياض الوطن، وتحث علىالخير والحرية والجمال، باعتبارها قيماً خالدة، كما تتجلى بهذه القصائد، دقة الشكل وحملها المختلف أنواع الجماليات اللغوية البديعة، من طبّاق جناس وتورية وتشبيه وكنايات، وشتّى أنواع البديع والزخارف اللغوية.

الجوفية

نوع من القصائد تُغنّى بشكل جماعي مجموعة شبان من صف واحد تغني القصيدة مقطعاً مقطعاً ومجموعة أخرى تقابلها وتردد كل مقطع مباشرة، يصحب ذلك اللحن الصاخب التصفيق أحياناً، وقد تكون الجوفيات حماسية تثير النخوة والحماس وتدفع الجماهير فوراً للمعركة "قصائد حربية" لذلك تأخذ على الغالب تفاعيل بحر الرجز، وكثيراً ما تسمى أرجوزة مثل:

ياراكب اللّي لو مشت ما تندرك ..... وتحث حالها ولا تحتاج تسوقها

مرباها بين القريَّا والكرك ..... خيالها سبع المزمجر فوقها

لفت بني معروف وجيت أبشرك ..... يوم الرصاص تقول لمع بروقها

وأحياناً أخرى تكون الجوفية: قصيدة للفخر والاعتزاز بالعادات العربية الأصيلة إذ يفتخر الشاعر بقومه وعشيرته... ففي الجوفية هنا يفتخر الشاعر بكرم قومه وعشيرته وشجاعتهم.

يـا مـا حـلا الفنجـان واحنـا بترحـال ويــضمنا ذكــرى الــوطن والقبــيلا

اليمـــاني مركبـــاً فـــوق الـــدلال جــوزه الطيــب الياغلــت فــحَ هــيلا

فنجـــان دايـــرعَ أجاويـــد الرجـــال حــيهم بــني معــروف عــذوا الــدخيلا

مــا يعرفــون الهــذر والقيــل والقــال كلــهم فــروعٌ مـــن قـــروم طـــويلا

ربعــي هــل الطــولات زيــنين الفعــال بكــل القبايــل مــا لهــم مــن مثــيلا

يفــدوا الــوطن بالــدم والــروح والمــال لـــو زغـــردت بـــالكون أم الجـــديلا

يكزّوا النذر ما يقحموا الضدّ بأغفال يــأبوا الغــدر بــأبوا الخــون والــدّغيلا

شــلفات تلمــع فــوق الرمــاح الطــوال يفنــوا العــدا بحــدٍّ الــسيوف الــصقيلا

يــا لمــا عــرفتم بــالوغى عــنهم اسـآل الغـــــازي ولاًّ وزغردتلـــــو الكحـــــيلا

ربعــي بــني معــروف لــو أنهــم قــلال تلقــى الــشجاعة سـلاحهم والفـضيلا

يــا رب ثبــتهم علــى ديــن مــن قــال المــصطفى المبعــوث وانــصر رعــيلا

جوفية

كنت ذكرت ان هذه القصيدة وغيرها للشاعر جابر المقت، فاتصل هاتفياً يخبرني ان هذه القصائد ليست له لذلك أعتذر عن ذكر اسم الشاعر لأني لاأعرفه.

الشاعر يشكو الفراق ويشكو الدهر ويفخر بأهله وعشيرته....

يا رب ويااللّي باب جودك ما به ريب   تطفي نيران بقلبي زايد شعيلا

نيران قلبي عالبعد زايد لهيب   عفراق ربعي عيشتنا مستحيلا

طال النوى وزادت عليَّ التحاسيب   وبغير أرضي العيشة صارت ذليلا

* * * ** *

خانت بنا الأيام وأسرع بنا الشيب   واجراب صبري عالدهر طاف كيلا

شديت مهرة بالفلا تسابق الذيب   من خيل يعرب من سلايل أصيلا

* * * * *

نجدية يا صاح ما ظنها تخيب   عادتها قطع المسافة الطويلا

يا سرجها مركوب أهالي الحاديب   من بين كل الخيل يعرف صهيلا

* * * * *

يا خرجها زايد غوى بالشر اشيب   يا زينها من بين خيل القبيلا

خيالها يا قرماً قلَّط على شبيب   قوي زنده حمال الثقايل يشيلا

وصيتي تقصد هل الجود والطيب   ربعي تعز الضيف وتحمي الدخيلا

بديارنا يا رسل لنحسك يغيب   مشتاق إليهم شوقاً ما له مثيلا

جوفية الشاعر والربابة محمد إسماعيل المقت

ابتـدي باسـم الـذي بـالكون تنامـا ربنـا المعبـود عينـه مـا تناسـا
خـالق الـدنيا وعليهـا دوم سـاهر مـن مـشى بهـدايتوا كـسب الـسلاما
بعـدها جرّيـت قوسـاً فـوق فـاطر(١) وانـشدت أبيـاتٍ مـن بحـر الغرامـا
والـدي دونـك حبوبـاً مـن جـواهر مـع جـرس مـن هيـل تـشفيلك مرامـا
فـوق نـار ضـوَّها لكـل سـاير حطهـا بمحمـاس واحمـسها تمامـا
وصيح عـالي الـصوت بـالنخوات زاخـر دقهـا بنجـر يـصوت للنـشاما
قهوتـك يـا والـدي لكـلّ زايـر تـشفي للمنـضام تنـسيه الإضـاما
هيلـها وبهارهـا مـسك العنـابر مـن حظـي بفنجانهـا مـالوا نـداما
بمقعـدك يـا والـدي الفنجـان دايـر ظـلّ سـالك مـسلك جـدودي القـداما
عنـد عينـك لـو خـضت بحـر المخـاطر قهوتـك مـا تنقطـع دايـم دوامـا
بعدهـدك لـو جـار دهـري دوم صـابر معـدني مـن معـدنك طيـب وشـهاما
معـذرة منـك لـو كـان القـول قاصـر والعـذر مقبـول عنـد أهـل الكرامـا

---

(١) الفاطر: الربابة.

هذا يعارض قصيدة الشاعر

عيِّـت أنـادي وارقـع البـاب بالـسيف   عَيُّـو هلـك يـا بـاب مـا يفتحونـك

بقصيدة طويلة يمكن أن تغنى جوفية ويمكن أن تغنى هولية.

يـا الله ويـا رحمـن ويـا عـالم الغيـب   يـا مـن لوجهـك صـاح طـير الخمـيلا

يـا مكمـل الـدنيا بجمـال وترتيـب   ورافـع سماهـا بغـير عمـدٍ يـشيلا

* * * * *

أنـت الكـريم ومـن قـصد بابـك يـصيب   وأنـت الحكـيم وأنـت شـايف العلـيلا

من الجوفيات: أهازيج وطنية سريعة.

١ . بالروح نفدي وطنا: مثلث مردوف

بـالرُّوحِ نَفـدي وطنّـا   لَـوْ صَـاحِ صَـوتِ المنـادي   بـالرُّوحِ نَفـدي وطنّـا

حَريبنَـا مـا تِهَنَّـا   ولا ذاق طَعـم الـسُّهادِ   حَريبنَـا مـا تِهَنَّـا

بـشرعنا المـوتِ سِـنْه   يَـا مَرحَبَـا بالـشّاهادي   بـشرعنا المـوتِ سِـنْه

والقُـدْسِ مـا تـرُوح مِنّـا   وفينـا صَـبيٌّ ينـادي   والقُـدْسِ مـا تـرُوح مِنّـا

جُـولان صَـارَتْ مجنّـا   لأهـل البغـي والفـسادِ   جُـولان صَـارَتْ مجنّـا

كـم رُوحٍ فيهـا دفنّـا   لبْـستْ حريمـه الـسوادِ   كـم رُوحٍ فيهـا دفنّـا

بارودنـا مـا يخنّـا   مـوزير وضـربو صـماد   بارودنـا مـا يخنّـا

قصائد الفن

هي قصائد شعرية تردد في الأعراس والسهرات ومحافل الطرب عامة. يقول القصيدة بكاملها شخص واحد يبدأ بالمقطع الأول منها "اللازمة" (بيت أو بيتين من القصيدة) يردد هذا المقطع مجموعة من الشباب من أربع أو خمس شباب في صف واحد على يسار الأول، وتدور المجموعة بهدوء حول نقطة أرتكاز في موضع أقدام الشخص الأول.

قصيدة فن: من مقاطع (١٢) كل مقطع يعود لينختم بالقافين الأولى بعد (١٢) شطر.

يا مسافر صوب الخلان	وصلّيّ هالرّسالي	خبرّهن قلبي شعلان	ونار الفرقة قتّالي

(اللازمة)

* * * * *

نار الفرقة تهد الحيل	صعب عليّ طفيّها	بعد حبابي ذقت الويل	بالغربة ولياليها
طريق الغربة طويل	تعدينا وسر نافيها	ومن غربتنا طاف الكيل	بدعي الله يجازيها
بيقولوا الصبر جميل	عالدنيا ومآسيها	خلت دمع العين يسيل	وتهلهل عالغوالي

* * * * *

هلهل دمعي عالخدين	سال وبلبل لي هدامي	عالوجنة حافر خطين	بان وبقّع عكمامي
مفارق أهلي من سنتين	طيفهم رافق أحلامي	دخلك يا رب الكونين	ارجعلهن بالسلامي
من بعدهم منظامي العين	ما عدت اقشع قدامي	ولا عدت أعرف دربي منين	يا ضيمي وضنا حالي

* * * * *

يا حسرة بعد الحباب	كيف بكفي حياتي	صبري قل وسعدي غاب	مشكى ضيمي أبياتي
تختخ جسمي وراسي شاب	زادوا وكثروا جروحاتي	روحي مأسورة بسرداب	بالغربة مع نهداتي
وشمسي مالت عالغياب	يمكن قرب مماتي	جسمي من فرقتهم ذاب	ومش باقي غير خيالي

* * * * *

ومش باقي غير الخيال	من يوم إن غابوا عني	وعليهم مشغول البال	حرقة وتنهيدي وعنّي
مجروح ودمي شلال	ورغم جراحي عبغني	قضيت العمر ترحال	ودهري عليّ متجنّي
بعلل نفسي بالآمال	وعايش عمري مستني	يا خسارة بختاتي قلال	وحظي خيب أمالي

قصيدة فن : مقاطع رباعية

(اللازمة)تارك قلبي بحماكِ عصفور زغير   ديـري بالـك أيْـاكِ يرفـرف ويطـير

* * * * *

ظلـي بخـير وعـوافي يـا عفّـافي   راجـع كرمـال عيونـك لا لا تخـافي

هـاجوا بحـور المحبّـي وقلـت القـافِ   بحبـك والله بحبـك مـن قلـب كبير

* * * * *

بحبـك يـا عيـوني بحبـك الله شـهيد   حبـك زهـرة أيـامي وغـيرك مـا بريـد

طيفـك سـاكن أفكـاري ولـو كنـت   سـرك مـدفون بقلـبي أعمـق مـن بـير

* * * * *

سـرك مـدفون بقلـبي دايـم عَ لبعيـد   يـا إم الـشعر النـاعم سـابل مجـدول

وغرامـك بـين ضـلوعي بـدمي مجبـول   يرعـى أحوالـك يا بنيتّـي وربـي المجير

* * * * *

حِنّـي علـيَّ ولا تروحـي عـني طـول   خلـيتي غـصني ذاوي وعـايش قديـد

مـا في داعـي للبعـد وزود التنهيـد   يـا بنيـا بأقوالـك زيـدي الـتفكير

* * * * *

يـا بنيّـا إن طـال فراقـي لا تنـسينا   لا تمحينـا مـن بالـك لا تجافينـا

مهمـا ابعـدنا والـدهر تحكّـم فينـا   راح ابعـث لـك مرسالي عَ جناح الطير

* * * * *

(الخاتمة) لا تقسّي قلبك يا نور العين قلبي بسيف القساوي مشطر تشطير

قصيدة فن : من مقاطع (٤)

عاتب على دهر المشقة عاتب والقلب من جور الليالي ذايب

جارت أيامي وهاجروني حبابي ومالت حمولي وما بقي لي صاحب

* * * * *

ما لت حمولي وخيبتلي ضنوني كل الحبايب هاجروا وخلوني

سهام النوى جوَّى القلب صابوني من ضيمهم شعر السوالف شايب

* * * * *

من ضيمكم صفَّى الجسم بالمرّة طعمة فراقك يا وليفي مرّة

بعد الهنا وشرب القهاوي المرّة مسعاي تقرطب صار وجهي شاحب

* * * * *

من بعد سعيي بقربكم من يمي طال النوى وزودلي جروحي وهمي

وبقيت للم هالدموع بكمي وشعر الربابة بالأنامل داعب

* * * * *

شعر الرباب وقوسها وأقوالي ما يبعد وتذكاركم عن بالي

بخايل جناحك يا غاويي قبالي طيف الحكم لكن منامي كاذب

* * * * *

بخايـل جناحـك يـا خـوي بالـديري   واصحى على يا كثر الألم والحيري

يـا صـاحبي بجيّـر علـيكم جـيري   كاتــب خويــك بالرســايل كاتــب

* * * * *

عتابا

وصـلت بـلاد مـا بعـرف مـا اسمهـا   وشـفت وجـوه يـا صـاحب مـا اسمهـا

يـا نـار الـشوق يامـا صـعب ميـسمها   كــوتني بالحــشا جــوا القــصاب



٨- أغاني الهولية

تعقد حلقة الهولية من الشباب والصبايا المتكاتفين على شكل دائرة يشدون على أكتاف بعضهم بالأيدي وتتشابك الأذرع مع الأكتاف مع التحرك بدبكة منظمة وخطوات موزونة أثناء الدوران للحلقة بمجموعها.

الغناء جماعي: مجموعة صغيرة تغني وكبيرة تردد أي بقية أفراد الحلقة تردد نفس المقطع؛ وأغاني الهولية متنوعة منها:



آ. دلعونا

علـــى دلعونـــا علـــى دلعونـــا   راحـــوا الحبايـــب مـــا ودعونـــا

راحـــو الحبايـــب والقلـــب ذايـــب   دمعـــي ســـكايب عـــأسمر: اللونـــا

ب. ميجانا

ميجانـــا يـــا ميجانـــا يـــا ميجنـــا لـــيش نومـــك للـــضحى ريتـــو هنـــا

جـ. الهوارة

الهوارة فرقة جهنمية شديدة البأس بالمعارك تشبه فرقة النجدة استخدمها ابراهيم باشا المصري في الحرب ضد الأتراك وفي اللجاه لإنقاذ مجموعات جيشه المحاصرة من قبل الأعداء مثل:

عـــــــــا الهوارة الهـــــــــــوَّارة الحــــــرب خفّـــــــة وشـــــــطارة

وهناك شكل من الهولية يسمى اللوحة تؤديه البنات غالباً في الأعراس والمناسبات المفرحة ن أغاني هذا اللون:

يــــا سمـــــك عظمـــــك جـــــرحني يــــا سمــــك

إيمتـــــــى بـــــــترد علينــــــا يـــــا ملـــــــك

* * * * *

لـــــــــــورا ردي الجـــــــــــــــدايل لا ورا

يـــــا غمـــــــز العيــــــون مـــــــبين اشــــــكرا

عاجنـــــــــب ردي الجـــــــــدايل عاجنـــــــــب

* * * * *

يـــــا غمـــــــز العيــــــون مـــــــبين لحلــــــب

عــــا الخـــــصر ردي الجيـــــدايل عــــا الخــــصر

يـــــا غمـــــــز العيــــــون مـــــــبين لمـــــــصر

أيضاً

لاكتـــــب ورق وارســــلك   يلــــي مفــــارق خلـــك
بــــديرتك بعـــد وجفـــا   بــــديرتي أحــــسن لـــك
بـــــديرتي بترتـــــاحي   يـــا بـــو عيـــون ملاحـــي
عقلـــــي شــــرد وراحــــي   مــــن شــوفتي أمــس لـــك
مـــن شــوفتي بـــدارك   وحرقـــت قلــــبي بنـــارك
يـــا حـــشم مـــا انـــي جـــارك   خلـــــك معانـــا خلـــك
خلــك معانــا يــا خـــشف   يـــا دمـــع عـــيني مــا نــشف
بكـــره الحكايــه بتنكـــشف   والنـــاس تقـــضب شـــلّك
والنـــاس تحكـــي علينـــا   يـــا كـــل مـــا رحنـــا وجينـــا
يـــا خـــشف قـــوم ودينـــا   لنـــسيّر علـــى خلـــك
لنـــسيّر عالمـــضافة   يـــا بـــو هـــدوم نظــايف

*****

ومـن الـشبابيك رشـو علينـا الهيـل   ومـــن الــــشبابيك
ما أقدر أحاكيك أمي وابوي بالبيت   مـــا اقـــدر احاكيـــك

هيّـــا علـــى هيّـــا   لا ســري لهـم بالليـل   هيّـــا علـــى هيّـــا

ولا مــشي علــى ديّــا   وإن تعبــت الــرجلين   ولا مــشي علــى ديّــا

يمّـــــا انـــــدهيلو   شــوقي مــرق خيــال   يمّـــــا انـــــدهيلو

وأنـــــا بحكيلـــــو   وأنــت لــوذي بالبــاب   وأنـــــا بحكيلـــــو

مــــن هـــون لــــشقّا   حبـل العــشق ممـدود   مــــن هـــون لــــشقّا

ميّـــــل نتنقّـــــى   بـين الــسمر والبــيض   ميّـــــل نتنقّـــــى

٧- العتابا

بيت العتابا أربع مقاطع . بيتان من الشعر لكل مقطع من المقاطع الثلاث الأولى نفس القافية باللفظ لكنها تختلف بالمعنى أما المقطع الرابع فتختلف قافيته حسب رغبة الناظم مثل: هذه الأبيات للشاعر حامد العبد الله.

يـا قاسـم هـات سـاعدني علـى ميـل   الــدهر وإيّــاك تتركــني علــى ميــل

عـسى في الآخـرة نحظـى علـى ميـل   ملـــك في دار مـــا فيهـــا عـــذاب

* * * * *

أنا اللّي اضحيت على الأوطان منفيه   وهـــذا اللّـــي إلـــه العـــرش منفيـــه

وأصل الضيم اللّي الشهد من فيه   يُقطر واللما ترشح شراب

* * * * *

أنا ناويت إنهج يم قِبلاي   والحق من مشى من الدار قبلاي

فمن لُطفك أيا محبوب قُبلاي   لتزويدي بديل من الزهاب

* * * * *

أنا ناويت إنهج يمّ غربای   وحيث إنّي أسير بدار غربای

يحالي كيف دهري اليوم غرّباي   وخلاني وحيد من الأصحاب

* * * * *

أنا ناويت إنهج يمّ شرقاي   قبل ما ينوبني بالجوف شرقاي

وفي شفّي من المحبوب شرقاي   صغيره من اللما تشفي العذاب

* * * * *

أنا ناويت إنهج شمالاي   وحُبْك بين يُمناي وشِمالاي

أنا مأسور لا أدري شمالاي   غريق بلُجّة غرام الأحباب

* * * * *

يا علاّني أطير بجو وسماك   وعلى فؤادي رسم وخيال وسماك

ولاكنَّه همومي ثقال وسماك   يخلوني قعيداً عالتُراب

الفهرس

الفصل الثاني

الباب الأول

الباب الثاني

الباب الثالث

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس